



مَجَلَّة

مَعْرِفَةُ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ



الجزء الثاني

المجلد الثالث عشر

شعبان ١٣٨٧

نوفمبر ١٩٦٧

مجلة معهد المخطوطات العربية

مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية
وتعنى بشئون المخطوطات والوثائق العربية وتاريخها

تصدر في أول مايو وأول نوفمبر من كل سنة
الاشتراك السنوى : ١٠٠ قرش مصرى عدا أجرة البريد
المراسلات والمقالات ترسل باسم

مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية
ميدان التحرير - القاهرة
ج ٠ ع ٠ م

صورة الفلاف : السبع ملك الحيوانات ، من مخطوطة مسالك الأبصار
للعمري ، مكتبة روان كشك باستامبول

جامعة الدول العربية
مِغْنَةُ المَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ



مَجَلَّة
مِغْنَةُ المَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

الجزء الثاني

المجلد الثالث عشر

شعبان ١٣٨٧

نوفمبر ١٩٦٧

طبيعة دور المحفوظات في المغرب، وعلاقتها بدراسة

تاريخ المغرب

بقلم : محمد إبراهيم الكتاني

هذا هو العنوان الذي اقترح على ، واصطلاح (دور المحفوظات) اصطلاح غير مستعمل بالمغرب ، وإنما يستعمل أحياناً في بعض بلاد الشرق العربي ترجمة لكلمة (أرشيف) التي تترجم غالباً بالوثائق ، ونحن نفضل ترجمتها بالمستندات لأن الوثائق تستعمل في المغرب في الوثائق العدلية التي خصها المغاربة بمؤلفات عديدة ، وكانت لها منذ عهد بعيد دور مهم جداً في الحياة الثقافية والاجتماعية بالمغرب .

١ - ومهما يكن ، فإن المغرب ليست فيه - لحد الآن - مؤسسة قومية لحفظ وثائق الدولة ومستنداتها التاريخية من مراسلات رسمية ، ومباهدات وما أشبهها ، وتنظيمها وفهرستها ، على غرار ما هو موجود في كثير من الدول الحديثة .

٢ - مع أنه توجد بالمغرب ثروة مهمة جداً من المستندات التاريخية مفرقة في القصور الملكية ، وعند بعض الأسر التي سبق لبعض أفرادها أن كانوا وزراء أو سفراء أو كتاباً لبعض الملوك أو الوزراء .

٣ — وإنما توجد في المغرب مكتبات لحفظ الكتب وهي تنقسم إلى :
مكتبات قديمة ، ومكتبات حديثة .

٤ — فالمكتبات القديمة توجد في المساجد والزوايا ، وهي أوقاف إسلامية
بحيث لا يمكن بيعها أو تفويتها ، وإنما يقتصر على الاستفادة منها والمحافظة
عليها للأجيال المتعاقبة .

وهي كثيرة في المغرب ، مثل مكتبة جامع القرويين بفاس ، ومكتبة
الجامع الكبير بتازة ، ومكتبة الجامع الكبير بمكناس ، ومكتبة الجامع
الكبير بوزان ، ومكتبة ابن يوسف بمراكش ، ومكتبة المعهد الإسلامي
بنارودانت ، ومكتبة الزاوية الناصرية بتامكروت ، ومكتبة الزاوية الحزاوية
بآيت عياش ، ومكتبة تانغملات ، ومكتبة يزو ، وغيرها ، وهي مكتبات
للمخطوطات .

كما توجد بالمغرب مكتبات خاصة مثل :

مكتبات القصور الملكية ، ومكتبات الأفراد من العلماء والباحثين .

٥ — وأما المكتبات الحديثة بالمغرب فأهمها :

(١) المكتبة العامة للكتب والمستندات برباط .

(٢) والمكتبة العامة للكتب والمستندات بتطوان .

وفي كل واحدة منها :

(١) قسم خاص بالمطبوعات ، من كتب وصحف ودوريات

بمختلف اللغات ، ويلحق به قسم للبيبلوغرافيا المغربية .

٢ - وقسم خاص بالكتب العربية المخطوطة ، ويلحق به قسم حديث لحفظ ملفات الوثائق الإدارية لبعض الوزارات .

٦ - وتوجد في قسم المخطوطات بالرباط دفاتر تشتمل على مستندات رسمية تاريخية ، وهي مرتبة ضمن الكتب الخطية ، ويحمل كل واحد منها رقمه ضمن أرقام المخطوطات المتسلسلة ، وتجعل له جذاذة خاصة به ، مثل بقية المخطوطات (١) ، ومنها ما لم يفهرس بعد .

٧ - وفي الخزانة العامة مستندات تاريخية في ورقات منفردة ، وهي نسخ من رسائل رسمية وشبهها ، ولم يتسع الوقت لفهرستها بعد .

٨ - وبها مجموعة مهمة من الصور والخرائط التاريخية .

٩ - ومن أهم المستندات التاريخية المغربية سجلات الأوقاف المسماة بالحوالات ، وهي تشتمل على بيان أملاك المساجد والزوايا والمؤسسات الإحسانية .

وقد استخلص المؤرخ النسابة السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي ، المتوفى سنة ١٤٦٣ هـ = ١٩٤٣ م من حوالات فاس مؤلفاً ضخماً في المؤسسات الإحسانية بفاس ، وقفت عند أولاده على نسختين منه بخط مؤلفه .

وقد صور قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط على الشريط (الليكروفيلم) أزيد من ٦٠ مجلداً من هذه الحوالات ، وصور حوالي عشر مجلدات تتضمن وثائق أخرى .

١٠ - وأما المكتبة العامة بتطوان ، ففيها أيضاً بعض المستندات التاريخية ، والعمل جار لفهرستها (٢) .

١١ - كما وقع الشروع أخيراً في فهرسة وثائق القصر الملكي بالرباط .

١٢ - كما يوجد كثير من الوثائق المتعلقة بتاريخ المغرب في خارج المغرب ، في وثائق الدول التي كانت للمغرب معها علائق دبلوماسية ، وهي جل الدول المتحضرة ، في أفريقيا ، وآسيا ، وأوروبا ، والولايات المتحدة .

١٣ - وللمكتبة العامة بالرباط فرع في باريس باسم القسم التاريخي المغربي ، مهمته البحث عن الوثائق المغربية الموجودة في مختلف البلاد الأوربية ، ووضع فهرس لها ، وترتيب ما يوجد منها في كل بلد حسب العصور ، ودراستها ونشرها بنصها العربي مصوراً ، وبالحروف المطبعية ، مع ترجمتها إلى لغة البلاد التي وجدت بها .

١٤ - وقد صدر منها لحد الآن حوالي ٢٨ مجلداً ضخماً ، بعنوان مصادر تاريخ المغرب غير المطبوعة . وهي تتضمن بعض ما يوجد في البرتغال وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولاندة عن العلاقات بين المغرب وهذه الدول .

١٥ - وفي هذا القسم بباريس صناديق كثيرة تتضمن عدداً كبيراً من جذاذات فهرس كثير من الوثائق الموجودة في كثير من الدول .

١٦ - ولكن كثيراً من دول أخرى لا أثر للوثائق المغربية بها في هذا القسم ، مثل تركيا وأميركا ، وغيرهما .

١٧ - وأما الكتب المخطوطة في المكتبات المغربية المختلفة ، فإن لها على العموم صلة بالتاريخ المغربي من قريب أو بعيد ، حتى ولو كانت في موضوع غير تاريخي كما لا يخفى .

١٨ - وإن ما اعتاده كثير من المؤلفين العرب في العصور المتأخرة من الاستطراد والخروج عن موضوع الكتاب الأصلي لأدنى مناسبة -

كما يقولون — جعلك تعثر على معلومات تاريخية صعبة ، في كتب بعيدة بعداً كبيراً عن موضوع التاريخ^(٣) .

١٩ — وقد جرت عادة كثير من الناسخين والمجلدين أن يتركوا في أول الكتاب وآخره أوراقاً بيضاء ، وكثيراً ما يكتب بعض مالكي الكتاب في هذه الأوراق البيضاء تقايد مختلفة ، وقد يكون من بينها معلومات تاريخية : من وفيات بعض الملوك والحكام أو الصالحين ، أو حدوث وباء أو حريق أو حرب أو ثورة أو ما شابه ذلك ، بينما الكتاب قد يكون في موضوع بعيد أشد البعد عن التاريخ ، كالأذكار أو الأمداح النبوية أو العطب أو الحساب أو غير ذلك^(٤) .

٢٠ — وأما الكتب التاريخية أو القريبة الصلة بالتاريخ فإن للمغرب منها ثروة مهمة تتناول تواريخ دوله ، ورجاله من العلماء والفقهاء والصوفية ، والمحدثين ، والوزراء والكتاب ، وأهل بعض القرون ، وبعض المدن ، وبعض الأقاليم وبعض القبائل ، وبعض العائلات ، وبعض الطرق الصوفية ، وما أشبه ذلك^(٥) ويقارب عددها — فيما وصل إليه علمنا في الوقت الحاضر — الثلاثة آلاف كتاب ، وإذا استثنينا من هذا العدد ما يعتبر ضائعاً ، وما وقع التسهل في عده من كتب التاريخ مع بعد صلته بها ، فإن العدد الباقي بعد ذلك يتجاوز الألف كتاب بكثير .

٢١ — وقد ردد عبيد المستشرقين الروس كراتشكوفسكي — أكثر من مرة — قوله : إن التأليف التاريخي استمر منتعشاً في المغرب ، ابتداء من القرن الخامس عشر حتى فاق المغرب في هذا بقية الأقطار العربية ، وظل هذا الفن يشغل اهتمام علمائه المحليين إلى القرن العشرين ، كما أن نمط الرحلة التقليدي

بقى حياً إلى القرن التاسع عشر (٦) .

والواقع أن نمط الرحلة التقليدي استمر هو الآخر حياً إلى القرن العشرين ، وما يزال إلى اليوم .

٢٢ — والظاهر أن ما أشار إليه من استمرار التأليف التاريخي منتعشاً في المغرب يرجع بالأخص إلى اعتزاز المغاربة القوي باستقلالهم السياسي الذي ظلوا متمتعين به طوال تاريخهم الإسلامي ، وتقانيهم في المحافظة عليه ، وتمسكهم الشديد بشخصيتهم الخاصة ، فلم يصبهم ما أصاب البلاد العربية الأخرى من جراء الحكم التركي ، مما جعل الثقافة العربية تحافظ على ازدهارها في المغرب .

وهذا التعليل أقرب من التعليل الذي نقله كراتشكوفسكى (٦) عن بروكلمان من أن الاقلايات العديدة في الحكومات قد عاونت كثيراً على إمدادهم — يعنى علماء المغرب — بالمادة اللازمة .

ولاشك أن كثرة ما ألفه المغاربة في الميادين التاريخية التي لا تتصل بميدان الاقلايات الحكومية تدل على ضعف التعليل الذي ذكره .

٢٣ — يناهز عدد المخطوطات العربية في قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط اليوم عشرة آلاف مخطوط ، بعد أن كان على عهد الحماية لا يتجاوز الألفين إلا بقليل — بينها حوالى ١٥٠ تتصل بتاريخ المغرب (٧) .

فقد أضيفت إليها — بعد الاستقلال — كثير من مخطوطات عدة مكاتب أهدتها مصلحة الأملاك المخزنية للخزانة العامة بالرباط .

وأوقف السيد ابن عاشر الكتبي بالرباط أزيد من ثلاثمائة مخطوط ، سلمها لقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط .

وأُمسّت بقسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط جناحاً بمخطوطات الأوقاف التي عثرت عليها في مكتبات الأوقاف، وخصوصاً في مكتبة الزاوية الناصرية بتمامكروت التي تقع بوادي درعة على بعد نحو ٤٠٠ كيلومتر جنوب مراكش حيث عثرت على حوالي ٤٠٠٠ مخطوط، يكاد ما يتعلق منها بتاريخ المغرب يقارب المائة، بينها بعض النوادر والفرائد اليتيمة^(٨). وقد أمر المرحوم محمد الخامس بنقل حوالي ألف منها إلى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط.

٢٥ — ومن النوادر المتعلقة بتاريخ المغرب التي عثرت عليها بتمامكروت :

(١) المسند الصحيح الحسن، بذكر مآثر السلطان أبي الحسن (المريني) تأليف الخطيب ابن مرزوق^(٩).

(٢) والمجلد الأخير من (البيان المغرب) الخالص بتاريخ دولة الموحدين لابن عذارى المراكشي^(١٠).

ومن الفرائد اليتيمة :

١ — الإكسیر، فی فکاک الأسیر، للسفير محمد بن عثمان المكناسي المتوفى سنة ١٢١٤ هـ = ١٧٩٩ م، وهي رحلة عن سفارته لأسبانيا سنة ١١٩٣ هـ = ١٧٧٩ م^(١١).

٢ — هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، لأحمد بن محمد بن داود ابن يعزى بن يوسف احزى الجزولي المشتوکی المتوفى سنة ١١٢٧ هـ = ١٧١٥ م وهي رحلته الأولى للحج من تغازى سنة ١٠٩٦ هـ = ١٦٨٤ م^(١٢).

٤ — رحلته الثانية للحج سنة ١١٢١ هـ = ١٧١٠ م، وهما معاً مبيضة المؤلف بخطه^(١٢).

٣ — رحلة الحج لعبد الله أبي مدين بن أحمد بن الصغير الدوعي الروداني المتوفى عام ١١٥٢ هـ = ١٧٤٤ م ، كان حجه عام ١١٥٢ هـ = ١٧٣٩ م (١٣). وجاور بالمدينة ثم حج ثانية ورجع عام ١١٥٥ هـ = ١٧٤٢ م ، وفيها معلومات طريقة مفيدة في تاريخ المغرب ، وكان ذهابهم عن طريق الصحراء ورجوعهم عن طريق تازة وفاس ومكناس ومراكش .

٥ — ورد الشهي الماطش ، وصولة الإسلام بالعرائش ، وهي أرجوزة ليوسف بن محمد الشوحدري التطواني ، وتحتوي على نحو سبعين ومائة بيت ، نظمها بمناسبة تحرير مدينة العرائش من الاحتلال الأجنبي عام ١١٠١ هـ = ١٦٨٩ م (١٤) .

وعثرت في مكتبة الجامع الأعظم بمدينة تازة على :

١ — مجموعة من الأوراق المختلطة تبين بعد ترتيبها الذي تطلب وقتاً طويلاً أنها تتضمن : حوالى عشرين رسالة . وحيدة أغلبها من مؤلفات للمهدي ابن تومرت (... — ٥٥٢٤ هـ) (... — ١١٣٠ م) .

وإذا كان أغلب ما في هذه المجموعة موجوداً في المجموعة المعروفة بكتاب (أعز ما يطلب) المطبوعة في الجزائر سنة ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م . فإن فيها — مع ذلك ، ومع ضياع بعض أوراقها — مخالقات مع النسخة المطبوعة .

كما أن بها رسالتين موحديتين غير معروفتين : إحداهما بعنوان : رسالة أمير المؤمنين أيده الله إلى جزولة ، والثانية : إلى جماعة أهل التوحيد .

وبها كذلك (كتاب الجهاد) الذي أكله الخليفة أبو يوسف يعقوب

ابن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠ - ٥٩٤ هـ = ١١٨٠ - ١١٩٩ م)
وهو بتاريخ ربيع الأول ٥٩٥ هـ (يناير ١١٩٩) .

ولا تعرف منه نسخة في مكان آخر .

وهذه أول مرة يعلن فيها عن العثور على هذه المجموعة .

٢ - مباحث الأنوار ، من أخبار بعض الأخيار ، تأليف أحمد بن
يعقوب الولاى نزيل مكناس ، المتوفى سنة ١١١٨ هـ = ١٧٠٦ م (١٥) .

وعثرت في المكتبة اليوسفية بمراكش على مجلد ضخيم مخطوط الأوراق ،
لا أول له ولا آخر ، وبعد جهد جهيد وجدته شرحا لبعض رسائل المهدي
ابن تومرت ، ومؤلفه يسمى نفسه أبا بكر ، ويسمى المهدي بالمعصوم ، ويترضى
عنه كلما ذكره ، مما يدل على أنه ألف في عهد التحمس لوصف ابن تومرت
بالعصمة ، ويتجلى من كلام المؤلف اطلاعه الواسع على كتب كبار المتكلمين
والأصوليين من الأشاعرة ، وهو مفيد جدا في معرفة آراء الموحدين الكلامية
والأصولية ، وخصوصا حول القياس والاجتهاد اللذين كثرت الجدل بين
المؤرخين المغاربة المعاصرين حول موقف الموحدين منهما ، وهو جدير
بالدراسة المتعمقة .

٢٦ - ويوالى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط عنايته بتنمية عدد
مخطوطاته وخصوصا التاريخية منها ، وعلى الأخص المتعلقة بتاريخ المغرب .

٢٧ - ومن أهم أعمال قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط قيامه
بتصوير كل ما يستطيع التوصل إليه من نواذر مخطوطات الأوقاف ومخطوطات

المكتبات الخصوصية ، وحتى بعض المخطوطات الموجودة خارج المغرب (١٦) .

٢٨ — وتجاوز أشرطة المخطوطات في قسم المخطوطات بالخرزانة العامة بالرباط ألف مخطوط ، وبها نحو مائتي مخطوط في تاريخ المغرب ، ومنها :

٢٩ — (١) المجلدان الرابع والخامس من كتاب الدر المنتخب المستحسن ، في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن ، تأليف أبي العباس أحمد ابن محمد بن الحاج السلي المتوفى سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م (١٧) .

(٢) المجلدات الستة التي ما زالت مخطوطة من كتاب الإعلام ، بمن حل مرا كش وأغمت من الأعلام . للقاضي عباس ابن إبراهيم المراكشي — وقد سبق أن طبعت منه الأجزاء الخمسة الأولى .

(٣) الظل الوريث ، في محاربة الريف ، للقاضي أحمد بن العياشي سكيج ، المتوفى عام ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

وهي معلومات عن ثورة التحرير الريفية ، بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي ، رحمه الله ، تلقاها المؤلف شفاها من أحد قادة الثورة السيد محمد أزرقان ، الذي كان منفيا بمدينة الجديدة ، وكان المؤلف قاضيا بها . ويقع في حوالي مائة ورقة .

٣٠ — ومن نشاط قسم المخطوطات بالخرزانة العامة بالرباط قيامه بترتيب مخطوطات مكتبة القصر الملكي بالرباط ، وتنظيمها وفهرستها والتعرف على نفائسها وذخايرها .

وقد ناهز ما آتمنا — لحد الآن — تسجيله وفهرسته التسعة آلاف مخطوط ، ومن بينها من المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب ، وكثير من النواذر والفرائد اليتيمة (١٨) .

٣١ — وفي قسم المخطوطات بالخرزانة العامة بتطوان حوالى ٩٠٠ مخطوط ، ولم يشرع فى فهرستها إلا حديثا ، ولا تخلو من بعض المخطوطات التاريخية ، ولكن ليس فيها ماله قيمة خارقة للمادة (١٩) .

٣٢ — ومن أهم مراكز المخطوطات العربية بالمغرب مكتبة جامع القرويين بفاس ، حيث يوجد أزيد من ثلاثة آلاف مخطوط ، ولكن تقل بينها المخطوطات التاريخية وخصوصا المتعلقة بتاريخ المغرب ، ومن بينها :

مجلدان ضخمان مشتملان على وثائق متعلقة بأملأك المراكب من بلاد جبر والساوره بأرض البيض ، بتاريخ عام ١١١١ هـ = ١٦٧٩ م وهى من الأقاليم التى استمرت تحت حكم الدولة المغربية إلى أوائل هذا القرن (رقم ٧٧٩/٤٠) (٢١) .

وليس للمخطوطات القرويين فهرس مطبوع باستثناء قائمة لا قيمة لها (٢) .

٣٣ — وقد عرف المغرب فى القرن ١٩ منذ عرف المطبعة حركة نشيطة لطبع مخطوطاته التاريخية ، واستمرت حركة النشر حتى فى عهد الحماية على الرغم من محنة اللغة العربية والثقافة المغربية فى هذا العهد البغيض ، وما أن استعادت الأمة استقلالها السليب حتى عرف نشر مخطوطات التاريخ المغربى نشاطا ملحوظا ، حيث تقوم المطبعة الملكية بنشر مجموعة من نواذر مخطوطات مكتبة القصر الملكى التاريخية ، كما قام مركز البحث العلمى التابع لجامعة محمد الخامس بتعاون مع معهد مولاي الحسن بتطوان بنشر مجموعة مهمة من

المخطوطات التاريخية المغربية ، وكثير منها مما عثرنا عليه أثناء البحث عن نواحر المخطوطات بعد استقلال المغرب ، وهذا زيادة على ما نشره بعض المؤلفين أو بعض دور النشر الخاصة .

وما يزال في كل من المكتبتين العامتين بالرباط وتطوان ، ومكتبة القصر الملكي ، وبعض مكتبات الأوقاف ، وفي بعض المكتبات الخاصة مخطوطات تاريخية عديدة تنتظر دورها للنشر هي الأخرى .

المراجع :

(١) راجع الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح ، القسم الثاني ، الجزء الثاني ، مطبوعات أفريقيا الشمالية بالرباط ١٩٥٨ م ، رقم ٢١٠١ ، ٢١٠٢ ، ٢١١٣ ، ٢١٢٨ .

(٢) راجع أحمد المكناسي ومصطفى الكوش : وثائق لدراسة تاريخ المغرب ، مراسلات مولاي الحسن الأول ، ١٢٩٤ - ١٣١١ هـ (١٨٧٧ - ١٨٩٤ م) (القسم الأول) المجموعة الأولى ، تتضمن ٤١٣ وثيقة ص ١٠٠ ، مطبعة منيرفا ، تطوان ١٩٦١ .

المكناسي ومحمد الغازي الرويقي : وثائق لدراسة تاريخ المغرب مراسلات وزراء مولاي الحسن الأول ١٢٩١ - ١٣٠٨ هـ (١٨٧٤ - ١٨٩١ م) المجموعة الأولى القسم الثاني ، ويتضمن ٣٠٨ وثيقة ص ١١٠ مطبعة المكتبة العامة بتطوان ١٩٦٥ .

(٣) راجع محمد المتوني : المصادر الدفينة في تاريخ المغرب ، مجلة (البحث العلمي) التي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي التابع لجامعة محمد الخامس ، السنة الرابعة ، العدد العاشر ، يناير - أبريل ١٩٦٧ ص ٩ - ١٩ مطبعة الرسالة بالرباط .

(٤) راجع محمد إبراهيم الكتاني : جولة في المخطوطات العربية بامبانيا ، مجلة (دعوة الحق) ، الرباط ، السنة العاشرة ، العدد الثاني ، ديسمبر ١٩٦٦ م ص ٩٧ رقم ٧٤ ، ٧٥ والعدد الخامس ، أبريل ٦٧ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٥) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م مطبوعات معهد مولاي الحسن ، المطبعة الحسنية ، تطوان ، الطبعة الثانية ١٩٦٠ و ١٩٦٥ ، دار الكتاب ، الدار البيضاء .

(٦) راجع اغناطيوس يوليانتش كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم . ص ٤٦١ و ص ٧٣٠ . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٣ و ١٩٦٥ .

(٧) راجع ليفي بروفانصال : فهرسة أسماء الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية بعاصمة رباط الفتح (ص ١٢٤ — ٦٢) . القسم الأول .

وعبد الله الرجراجي وعلوش : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) القسم الثاني (١٩٢١ — ١٩٥٣ م) الجزء الثاني (ص ١٠١ — ١٤١) مطبوعات أفريقيا الشمالية الفنية ، شارع بيارن رقم ٢٢ الرباط ١٩٥٨ م .

(٨) راجع عبد الله شقرون : اكتشاف مخطوطات عربية نادرة في المغرب ، حديث مع الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني ، مجلة (الإذاعة الوطنية) الرباط ، العدد الثالث عشر ، السنة الثانية (غشت) ١٩٥٩ م — ص ١٤ — ١٦ .

(٩) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى رقم ١٦٦ . الدار البيضاء ١٩٦٠ م .

وزارة التهذيب الوطني : قائمة لنوادير المخطوطات العربية بمناسبة الذكرى المائة بعد الألف لجامعة القرويين بفاس ، الرباط ١٩٦٠ م ص ٦٧ رقم ٣٠٠ .

(١٠) راجع امبروسى هويسى مرآة . مقدمة الجزء الثالث من البيان المغرب لابن عذارى ، تطوان ١٩٦٠ م ص ٨ - ٩ .
وعبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٦٠ رقم ٤٦٨ .

(١١) راجع محمد إبراهيم الكتانى : الكتاب المغربى أوقيته .
مجلة (البحث العلمى) العدد ٤ و ٥ ، السنة الثانية ، يناير - غشت ٦٥ ص ١١ .
ومحمد الفاسى : مقدمة (الإكسبر) الرباط ١٩٦٥ ص : ط ، ظ ، و .
منشورات المركز الجامعى للبحث العلمى ، مطبعة أكادال ، الرباط ، ١٩٦٥ م .
وعبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، الطبعة الأولى
تطوان ١٩٥٠ رقم ١١٤٣ ، والطبعة الثانية الدار البيضاء ١٩٦٥ م رقم ١٤٣٤ .
(١٢) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى
الدار البيضاء ١٩٦٥ رقم ١٦١٧ ورقم ١٤٨٦ .

(١٣) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب ، الدار البيضاء
١٩٦٥ م رقم ١٤٢ .

(١٤) راجع محمد داود : تاريخ تطوان ، المجلد الثانى ص ١٣ التعليق ١ .
تطوان ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م ، معهد مولاي الحسن للبحوث .

(١٥) راجع عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ،
الدار البيضاء ١٩٦٠ م رقم ٨٥٦ .

(١٦) راجع محمد إبراهيم الكتانى : جولة فى المخطوطات العربية بأسبانيا ،
مجلة (دعوة الحق) التى تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط .
السنة التاسعة ، العدد التاسع والعاشر ، يوليو - غشت ١٩٦٦ م ص ٨٢ -

٨٧ ، السنة العاشرة العدد الأول . نوفمبر ١٩٦٦ ص ٦٤ — ٨٩ . العدد الثاني
ديسمبر ١٩٦٦ م ص ٩٣ — ٩٨ ، العدد الثالث يناير ١٩٦٧ م ص ٩٢ — ٩٧ ،
العدد الخامس أبريل ١٩٦٧ م ص ٥٣ — ٥٨ .

(١٧) راجع عبد السلام بن سودة : مؤرخ المغرب رقم ٥٤٢ .
الدار البيضاء ١٩٦٠ م .

(١٨) راجع محمد الفاسي : الخزانة السلطانية وبعض نقائسها . مجلة
(البحث العلمي) — الرباط — العدد الرابع والخامس ، السنة الثانية ، يناير
— غشت ١٩٦٥ م ، مطبعة الرسالة بالرباط ، ص ٦٦ — ٧٧ .

وراجع محمد إبراهيم الكتاني : العثور على خمس مخطوطات من (البيان
المغرب) بمكتبة القصر الملكي بالرباط لم تكن معروفة من قبل . مجلة
(تطوان) للأبحاث المغربية الأندلسية ، منشورات الجامعة المغربية ، كلية
الآداب ، معهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية ، العدد التاسع
١٩٦٤ م ، ص ١٦٧ — ١٧١ .

(١٩) راجع عبد الله جنون : المخطوطات العربية في تطوان ، مجلة
معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ، المجلد الأول .
الجزء الثاني ، نوفمبر ١٩٥٥ م ص ١٧٠ — ١٨٩ .

(٢٠) راجع العابد الفاسي : خزانة القرويين ونوادرها ، مجلة معهد
المخطوطات العربية — القاهرة — المجلد الخامس ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٦ م
ص ٨ — ١٦ .

(٢١) راجع برنامج يشتمل على بيان الكتب العربية الموجودة بخزانة
جامع القرويين بعاصمة فاس ، فاس بالمطبعة البلدية بدار المسكينة سنة ١٩١٧ م
ويعرف بفهرس بل .

مخطوطات حلب

بقلم : سامي الكيالي

قد يطول الحديث عن المكتبات القديمة في حلب — عن الخزائن المنتشرة في أروقة الجوامع والمدارس الدينية ، إنها كثيرة تضمّ مئات الكتب المخطوطة بل الآلاف ، ولا أبالغ حين أقول إنها تزيد على عشرين أو ثلاثين ألف مخطوط تنثر قسم منها هنا وهناك وهناك ، امتدّت إليها أيدي العابثين فانتقلت من مقرّها إلى شتى مكتبات العالم ، ولم يبق من هذا العدد الوفير غير خمسة أو ستة آلاف مخطوط قامت « دار الكتب الوطنية » بجمع ما تفرّق منها في المدارس والجامع ، وكتابة فهرسها ، ثم سلّمتها إلى مكتبة الأوقاف الإسلامية في قصة وظروف ليس هنا مجال سردها .

وعناية حلب بدور الكتب جدّ قديمة ..

فمنذ عهد سيف الدولة أو قبله إلى يومنا هذا ، وهذه العناية لم تنقطع ، توارثها الأبناء عن الأجداد ، حتى كان البعض يعتبرها حلية من حلي البيوت والقصور ، وكان يفاخر الرجل إذا وقف طائفة من الكتب على مدرسة ما ليفيد منها طلاب العلم ، فيعتبرها من أمتع وأمن هداياه .

يقول الحافظ الذهبي في تاريخه :

« إنه كان في خزانة الكتب بحلب عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان وغيره » .

وكرّت الأيام ، وتماقبت العصور ، وخزائن الجوامع والمدارس وبيوت

العلماء تزداد أو تنقص حين تنقض عليها الأيدي العابثة ، إذ لم تكن المكتبات تخضع في الماضي لهذه الأنظمة التي نعرفها اليوم .

كانت مفتحة الأبواب يعرف منها الطالب ما يريد ، والمفروض أن يعيد الكتاب بعد أن يفرغ من مطالعته والإفادة منه إلى مكانه ، كما توجبه الأمانة العلمية ، ولكنه يهمل ذلك ، أو يعيره لصديق له كأنه ملكه ، أو — وهذا الأرجح — يضمن أن يخرج من حوزته فيضنه إلى مكتبته ، ولا يتورع بعض هواة الكتب أن يستبيحوا ما طاب لهم من ثمرات تلك المكتبات الزاخرة بفنون المعرفة بدعوى أنهم أحق بها من غيرهم !

ففي تاريخ ابن خلكان ، في ترجمة أبي السعادات المعروف بالمسعودي : أنه لما دخل السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى حلب سنة ٥٧٩ هـ نزل المسعودي إلى جامع حلب ، وقعد في خزانة كتبها الموقوفة ، واختار منها جملة أخذها ، لم يمنعه منها مانع .

ولقد رأيت — والكلام هنا لأبي بكرات الهاشمي — قال : لقد رأيت وهو يحشوها في عدل^(١) !

ويعقب المؤرخون على هذه الحادثة بأن السلطان صلاح الدين مؤاخذ لعدم ردعه المسعودي عن أخذه هذه الكتب !

وبعد المسعودي جاء كثيرون إلى حلب ، ولا سيما المستشرقون الذين ابتاعوا من المتولين الكثير من النفائس التي نقلت بالسر أو بالعلن ، إلى شتى مكتبات الغرب ، ولهذا حديث ساشير إليه فيما بعد .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص (٥٢٠) المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ .

لقد عرفت حلب بين المدن الإسلامية الكبرى بوفرة مكتباتها المليئة
بنفائس المخطوطات ، وسببه حرص الأجداد على اقتناء ذخائر الكتب حرصاً
يدعو إلى العجب .

فمن الحكايات اللطيفة التي تربينا مدى هذا الحرص القصة التي يرويها
الصلاح الصفدى عن الوزير جمال الدين القفطى قال :

« إنه وقع له نسخة من كتاب الأنساب لابن السمعاني بخطه ينقصها
مجلد من أصل خمسة ، فلم يزل يبحث عنه ، ويطلبه من مظائنه دون أن
يظفر به .

« ثم جاءه أحد أخصائه وأخبره أنه احتاز سوق القلانسين الذين يعملون
القلانس ، فوجد أوراقاً منه ، وأحضرها إليه ، وذكر القصة فأحضر الصانع
وسأله عنه فقال :

اشترينته فى جملة أوراق ، وعملت قوالب القلانس .

فحدث عنده من الهم والغم والوجوم مالا يمكن التعبير عنه ، حتى إنه بقى
أياماً لا يركب إلى القلعة ، وقطع جلوسه — أى استقبال الناس — وأحضر
من نذب على الكتاب كما يندب على لليت المفقود المؤيس منه ، وحضر
عنده الأعيان يسألونه كما يسأل من فقد له عزيز . »

ولا غرابة أن يحزن هذا القاضى العالم الذى كانت له مكاتنه السامية أيام
للك الملك الظاهر ، والذى تولى الوزارة فلقب بالوزير الأكرم فى أيام الملك العزيز
— لا غرابة أن يحزن على فقد كتاب هذا الحزن الأليم ، فقد كان من أوفى
الناس للكتاب ، جمع من الكتب مالا يوصف ، وقصد بها من الآفاق ،
إذ كان لا يحب من الدنيا سواها ، ولم يكن له دار ولا زوجة ، وأشار

المؤرخون إلى مكتبته التي اعتبروها من أندر للكتبات التي تساوي خمسين ألف دينار ، أوصى بها بعد مماته ، للناصر صاحب حلب .

ويعلم القراء أن جمال الدين القفطي « ٥٦٨ — ٦٤٦ هـ » قد صنف عدة كتب أشهرها « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » و « إنباه الرواة على أنباه النحاة » و « الدر الثمين في أخبار المتيمين » و « أخبار مصر » في ستة أجزاء و « بقية تاريخ السلجوقية » وغير ذلك من المصنفات النفيسة .

فمكتبة عالم واحد قُدرت قيمتها بخمسين ألف دينار ، فما ثمن مكتبات جهابذة العلماء الذين عاشوا في حلب وتركوا آلاف المخطوطات ، وأكثرها بمخطوطهم ! .

* * *

ويروى الشيخ كامل الغزي مؤلف كتاب « نهر الذهب في تاريخ حلب » عدة قصص عن ولع الحلبيين بالكتب ، وعن اللصوص الذين امتدت أيديهم إلى هذه الذخائر فيقول :

« إن ولع الحلبيين باقتناء الكتب كان ولم يزل غريزة فيهم ، فقد أدركنا الكثيرين من علماء حلب وأغنيائها من هو شديد العناية باقتناء الكتب المخطوطة النادرة حتى إنهم كانوا يتسابقون إلى اقتنائها ويبذلون الأموال الطائلة في استنساخها .

« أدركنا منهم من امتكبن كتاب « تاج العروس » للزبيدي شرح قاموس الفيروزابادي فصرف عليه نحواً من مائتي ذهب عثماني ، إلى غير ذلك من الكتب الكبيرة التي كان أغنياء الحلبيين يتسابقون إلى اقتنائها » .
ثم يقول :

« أدركنا في مدينة حلب عدة مكتبات غنية بالكتب المخطوطة النادرة ، قد تسلط عليها لصوص الكتب فسلموها كل ماحوته من الطرف والتحف ،

وإننا منذ زمن الصبا حتى الآن — نرى تجار الكتب المخطوطة يترددون إلى حلب ويملاؤون من مكتباتها الصناديق الكثيرة ، عدا ما نراه من سواح الغرب وممارسة المستشرقين الذين يختطفون الكتب النفسية الخطية من أيدي طائفة من البسطاء ، لا يفرقون بين الطين والمعجين ، فيشترونها منهم بأبخس الأثمان .

« وإني على يقين من أن مدينة حلب ما زال يوجد فيها العدد العظيم من الكتب الخطية النادرة ، التي إذا بحثت عنها وجدتها في زوايا الإهمال والنسيان في بيوت جماعة من جهلة العامة ، قد هبطوا من أصلاب رجال كانوا يعدون من نبغاء العلم والأدب ، فخلف من بعدهم خلف أهملوا العلم وركبوا متن الجهل وباعوا ما كان في خزائن أسلافهم من الكتب والأسفار ، وبقي عندهم منهم بقية عدوها من سقط للمتاع ، حتى إذا لفتهم إليها الصدف حملها واحد من أطفالهم أو واحدة من عجائزهم وقصد بها باعة الكتب ، أو السوق العامة المعروفة بسوق الجمعة ، حيث تباع السلع الرخيصة ، فيبيعون منها ما قيمته ألف قرش مثلاً بنصف قرش .

« من الصدف الغريبة التي صادفتها ، أنني بقيت مدة طويلة أبحث عن كتاب « كنوز الذهب » فلم أظفر به ، ومضى على ذلك أعوام ، وقد يشتت من الظفر به ، إلى أن كنت يوماً من الأيام ماراً في سوق من أسواق حلب ، إذ أبصرت بامرأة عجوز ، يدل إزارها على ققرها ، وفي يدها كتاب يلوح عليه القدم فاستوقفتها وقلت لها : ما هذا الكتاب ؟ أجابتني بقولها : « قصة حلب » فتناولته من يدها وسرعان ما فتحت ، وقرأت من خطبته سطوراً ، فإذا هو ضالتي المنشودة هو « كتاب كنوز الذهب » بخط مؤلفه ، فقلت لها : بكم تباعينه ؟ قالت : دفع إلى به بائع الكتب خمسة قروش ، وأنا لا أبيع إلا

بعشرة قروش ، فنقدتها عشرة قروش ، وأخذت منها الكتاب ، ولو أنها طلبت مني ثمنه ألف قرش لما استكثرتها .

ثم يتحدث عن المكتبات التي فقدت فيقول :

« . . أما المكتبات المفقودة في حلب ، وكانت على جانب عظيم من الغنى فهي مكتبة بنى الشحنة ، ومكتبة بنى العديم ، ومكتبة بنى الخشاب ، وغيرهم من الأسر العلمية التي كانت تعد من أجل بيوتات العلم في حلب ، ومن تلك المكتبات مكتبة الجامع الكبير ، ومكتبات المدارس الكبرى كالدرسة السلطانية والعصرونية والحلوية والشرقية والرواجنة ، فإن جميع هذه المكتبات فقدت برمتها في حادثة تيمور لك ، فمنها ما استأثر به تيمور لك وابتاعه ، ومنها ما انتهبه العامة أثناء تلك الحادثة وطرحوه في زوايا بيوتهم ، ثم باعوه بأبخس الأثمان^(١) . »

شهرة مخطوطات حلب دفعت بعض المستشرقين أن يأموا المدينة للبحث عن هذه الذخائر ، ولعل أول مستشرق قصد حلب ، وعرف الكثير من مخطوطاتها قس إنكليزي جاء من الوكالة التجارية الإنكليزية The English Tactary قبل نيف وثلاثمائة سنة^(٢) .

لقد أحب هذا القسيس الشاب الشرق بعد أن اطلع ، وهو تلميذ ، على بعض الكتب الدينية وغيرها التي تتحدث عن الشرق ، وكان مرسماً للتوراة

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٢) كانت الوكالة الإنكليزية مؤلفة من قنصل وأربعة تجار وقسيس وطبيب وحاجب ، وهي أول بعثة أجنبية تؤسس في حلب في بداية سنة ١٥٨١ م = ١٨٩٨٩ .

في «كوب كريستي كويليج» = مدرسة جسد المسيح، حيث حصل سنة ١٦٢٤م على شهادة الماجستير ، وأخذ مبادئ العربية على البروفسور ماتياس باصورا الألماني ، ثم اتصل بوليم بيدويل ، أكبر علماء الإنكليز بالعربية آنذاك ، وهو الذي أصدر أول ترجمة إنكليزية للقرآن الكريم ، والذي كان يصف اللغة العربية بأنها اللغة الوحيدة للدين ، واللغة الرئيسية للسياسة والعمل من الجزائر السعيدة إلى بحار الصين .

حين وصل هذا القس إلى حلب أخذ يبحث عن أستاذ ضليع في اللغة العربية ليتلمذ عليه ، ولم يطل بحثه ، فسرعان ما وقع اختياره على عالم من كبار العلماء ومن أئمة البيان وهو الشيخ فتح الله البيلاوني ، فتلمذ عليه ، وبدأ يلزمه صبح مساء ، وظل يقرأ عليه ويأخذ عنه مدة خمس سنوات كاملة إلى أن استطاع أن يحقق الفصحى ، بعد أن حقق « العامية » من أفواه الحلبيين .

وكان لا بد له من مراجع للاستزادة من علوم العربية ، وكانت خزانات الكتب مفتوحة لكل طارق ، فكان يؤمها بصحبة أستاذه أو وحده بعد أن يؤذن له بدخول الجوامع والمدارس ، وقد هاله أن يرى علوم الشرق مبثوثة في هذه الكتب ، وازداد ترداده ، وكثيراً ما كان يقضي النهار كله في القراءة والنسخ .

إنه إزاء ثروة لا تقدر بثمن ، فتحلب ريقه ، فلم يكدهم بالعودة إلى وطنه حتى امتدت يده إلى ما يقرب من ألفي مخطوط !

لم يكن هذا القسيس الذي أخذ ثقافته العربية عن مخطوطات حلب سوى المستشرق الإنكليزي الشهير إدوار بوكوك .

يقول الدكتور ج. أ. أربري مؤلف كتاب «المستشرقون البريطانيون»
في صدد كلامه عن يوكوك : إنه أثناء السنوات الخمس التي عاشها في حلب
جمع مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية ، تكون الآن قسماً من أمن محتويات
للكتبة البودلية — نسبة إلى أستاذه وليم بيدويل ، مترجم القرآن الذي
أهدى مكتبته إلى جامعة أكسفورد .

ويقول برتر لويس في كتابه «مساهمة البريطانيون في الدراسات العربية»
وهو يعرض إلى مخطوطات حلب التي نقلها إدوار يوكوك :
« .. قد اقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية عاد بها إلى أكسفورد ،
فأنقذها من الدمار الذي كان من المحتمل أن يحل بها » ١

أنقذها من الدمار الذي كان من المحتمل أن يحل بها

لقد استوقفتني هذه الجملة كثيراً ، ففيها تنطوي كل هذه الفوارق بين
الشرق والغرب ؛ بين حرصه على مثل هذه الكنوز وبين تهاوننا في الحفاظ
عليها .

وهذه المخطوطات التي تحمل بين صفحاتها علوم الأولين من فلسفة ومنطق
وفلك وتاريخ وشعر وأدب — لم تكن في نظر بعض شيوخنا الأجلاء
إلا تخرصات أولى بها القمامات أو السنة الذهب ! فالجمالة الطاغية من روح العصر
في تلك الفترات السود لم تكن لتعطى أهمية بالغة لمثل هذه الكنوز ، التي كانت
مبعثرة هنا وهناك ، غير معني بها ، كما قلت ، لا يلتفت إليها إلا بعض كبار
المدرسين الذين كانوا لا يهتمون أيضاً إلا بكتب الفقه والتفسير ، أما بقية
كتب الأدب والحكمة والشعر والرياضة والفلسفة والمنطق ، فكانت في نظرهم

أضاليل وتخرصات ، وهي اليوم لا تقدر بشمن ، ومرجع وثيق لفظاحل مؤلفي
الغرب والشرق .

* * *

حين رجع إدوار يوكوك إلى وطنه رجع مزهوا بعمله وبماحله من كنوز ،
وقد استقبلته لندن كرجل مقام ، والسفر إلى الشرق في تلك الظروف لون
من المغامرة ، فما كاد يستقر به المقام وينفض عنه أعباء السفر ، ويعرض هذه
الكنوز التي حملها معه على زملائه وأساتذته حتى أخذت شهرته تستفيض ،
وإذ كان من خريجي أكسفورد ، ومن حملة شهادة الماجستير فقد أسند إليه
في ١٠ آب سنة ١٦٣٦م المنبر الجديد لأستاذية اللغة العربية ، فحاضر في الأدب
والنحو ، وكانت أولى محاضراته عن بلاغة الإمام علي وكمالاته ، وقد طبعت
هذه المحاضرة سنة ١٦٦١ م ، وأقبل على محاضراته لا طلاب الجامعة فقط
بل أكثر المتخرجين من الجامعة ، وبالأخص زملاؤه في التدريس .

وفي ختام السنة الدراسية قام برحلة ثانية إلى الشرق مع ولیم جريفستر
المستشرق البريطاني المختص بشئون الفلك ، والذي كان يجيد العربية
والفارسية معاً .

وقد سافرا إلى تركيا ، وأقاما في استانبول حتى سنة ١٦٤٠ م ، وكان لا بد
لإدوار يوكوك ، وقد وصل إلى الشرق من زيارة حلب التي كان لها أثر غير
قليل في تكوين شخصيته الأدبية ، وربما كانت حلب ، هي قصده من هذه
الرحلة ، و « مخطوطاتها » هي السبيل ، واستطاع في هذه الرحلة أيضاً ، أن
يجمع أنفس المخطوطات وأندرها ، ويعود إلى وطنه لينصرف إلى البحث
العلمي ونشر المخطوطات ، فنشر كتاب « الحضارة العربية » وهو مقتبس من
كتاب « مختصر الدول » لأبي الفرج ابن العبري ، وقد صدر سنة ١٦٤٩ م ،

وكتاب « المختار من تاريخ العرب » الذي يعتبر أول نص عربي طبع في أكسفورد ، وقد عرض في هذا الكتاب إلى نشأة العرب وعاداتهم وآدابهم ودياناتهم ، وكتاب « مختصر التاريخ العام » لابن البطريق سنة ١٦٥٨ م ، وترجمة « معجم الأمثال للميداني » ، ولامية العجم ، وهي دراسة نقدية لتقصيدة الطغرائي ، تصحبها ترجمة وتفسير وافية ، وقد طبعت سنة ١٦٦١ م ، ومقالة عن مزايا القهوة من كتاب طب عربي ، نشرت سنة ١٦٥٩ م^(١) .

وغير إدوار يوكوك كثيرون . ولا شك أن رحلة يوكوك أثارت الكثيرين من المستشرقين منذ تلك الفترة إلى بداية القرن العشرين فكانت حלב من المدن التي غزوها وامتدت أيديهم إلى مخطوطاتها .

* * *

كتب إلى للرحوم الأمير مصطفى الشهابي قبل بضع سنوات ، أن أبحث له عن كتاب « النبات » لأبي حنيفة الدينوري — وهو من مخطوطات المكتبة الأحمدية — وأقوم بهذه المهمة بكثير من الارتياح ، وأراجع فهرس المكتبة فأجد الكتاب مدوناً ، وأطلبه فلا أجده ، وأفهم من الثقات أن أحد التولين على وقف الحلبي قد باعه إلى مستشرق هولندي بشمن بنحس — بليرة عثمانية ، ويقدر الخبراء ثمنه بأكثر من أربعائة ليرة عثمانية ذهباً ، لأن الكتاب بخط المؤلف ، ومصوره ، فإما من زهرة أو نبتة إلا وقد رسمت بلونها الطبيعي .

والدينوري « ... — ٢٨٢ هـ » كما يقول ياقوت عنه — من نواذر الرجال ، جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ،

(١) من قصص الصلات بين الشرق والغرب : بحث لسامي الكيلاني في كتابه « من خيوط الحياة ... » « المستشرقون البريطانيون للدكتور » ا ج . أربري ، « المستشرقون » لتجيب العقبي .

ورواء وحكم ، أما كتابه في « النبات » فكلامه فيه ، في عروض كلام
أبدى بدوى ، وعلى طباع أفصح عربى ،^(١) .

هذا ، وقبيل الحرب العالمية الأولى ، وفي سنة ١٩١١ م على الأرجح
امتدت يد الشيخ إلى مخطوطات حلب فجمع عدة صناديق ،
وبعد أن أصبحت في حوزته خلال أعوام اتصل بكنتي شهير في القاهرة
يتاجر بالمخطوطات ، وهو حلبي الأصل — فعرض عليه الفهرس ، وبعد أن اطلع
عليها اتفقا على السعر ، وئمت الصفقة بمئة ألف قرش ذهباً « = ألف ليرة
فرنسية — دفع منها خمسمائة ليرة سلفاً » وكتب بالباقي سفايج = كيبالات ...
وشحنت الكتب إلى القاهرة ، وعرضها الكنتي على « الكتبخانة
المصرية = دار الكتب اليوم » ، وبعد أن اطلعت الهيئة المكلفة بفحص
المخطوطات ، على الفهرس ، قرّرت ابتياعها بأى ثمن ؛ بالنظر لندرتها
ولقيمتها العلمية .

وخلال فتح الصناديق والمباشرة بعملية الاستلام ، لوحظ أن أوراقاً
سميكة — من الورق العبيدى — ملصقة على الصفحات الأولى ويسأل الشيخ
صاحب الكتب عن الأمر فيحير جواباً ، ثم يقول : إنها ملصقة لحفظ الكتاب
من التلف . . . وتلاحظ الهيئة أن أكثر من مخطوط بهذا الشكل ، مما أثار
رأيها وشكوكها ؛ وجاء أحد المختصين بأسفنجة مبلولة وأزال الورقة بمحق ،

(١) من قصص الصلات بين الشرق والغرب : بحث لسامى الكيالى
في كتابه « من خيوط الحياة . . » « المستشرقون البريطانيون للدكتور » . ج .
أربرى ، « المستشرقون » لتجيب العقيقى .

وظهر اسم الكتاب ومؤلفه ، وأنه وقف ، مع تحذير شديد من سرقة
أو بيعه ١ .

ويفتح كتاب ثان وثالث ورابع ، وإذا كلها من الكتب الموقوفة ١
وهنا توقفت دار الكتب عن الشراء ، وقررت أن تحجز السفير التركي
بالأمر ، باعتبار أن السرقة من حلب ، وحلب من الممالك العثمانية — فباع
البائع والكتبي الذي دفع نصف ثمنها سلفاً ، وهو مبلغ غير قليل ،
فما كان منه إلا أن لجأ إلى صديقه أحمد زكي باشا — شيخ العروبة — وهو
سكرتير مجلس النظار ، فتدخل في الأمر ، وأفهمهم أن الكتبي لا ذنب له ،
وأن حجز الكتب خراب بيته ، وبعد مفاوضات طويلة سلمت إليه .
وما هي فترات ، وبعد أن خمدت الضجة نقلها الكتبي إلى الإسكندرية
حيث عرضها على القومسيون البلدي الذي ابتاعها لمكتبة الإسكندرية
بألف ليرة فرنسية ذهباً ، ولا تزال هذه المخطوطات الحلبية في مكتبة
بلدية الإسكندرية .

* * *

وقد ظلت قصة هذه السرقة تردد ، منذ نصف قرن ، في البيوتات
الحلبية العريقة ، ويتداولها الشيوخ والعلماء الذين لا يزالون يلعنون ذلك
الشيخ الذي أقدم على هذه الفعلة الشنعاء ، وقد كان من أمره بعد هذه
الفضيحة وبعد أن أصبح مضغة الأفواه — أن هجر المدينة وعاش بقية أيامه
في الأرياف ١ .

وأقف عند هذا الحد من روايات المؤرخين والثقات عن مخطوطات حلب ،
التي لا يمكن إحصاء عددها الوفير ، فمنذ عهد الأمير الحمداني الذي قدرت

مكتبته التي وقفها بعشرة آلاف مخطوط ، إلى كتب جهابذة اللغة والأدب والشعر وأساطين العلماء والفلاسفة وغيرهم من رجال الفكر الذين عاشوا في ظلاله ، إلى المخطوطات التي عدا عليها تيمورلنك ، إلى مكتبة الوزير جمال الدين القفطى التي قدرت بخمسين ألف دينار ، إلى مكتبات ابن الشحنة وابن العديم وابن الخشاب وغيرهم من أصحاب المواهب الذين دونوا وألفوا وكانت لهم مكتباتهم الخاصة والذين عاشوا في مملكة حلب على مرّ العصور ، إلى المخطوطات التي امتدت إليها الأيدي العابثة من المستشرقين ومن غير المستشرقين — نعم ، لا يمكن إحصاء عددها الوفير ، ولا علينا أن نفترض — ولا مجال للمبالغة ، أن عددها قد جاوز المائة ألف مخطوط ، لم يبق منها غير بضعة آلاف ، ذهب أنفُسها وأندرها إلى مكتبات لندن وليدن وباريس وبرلين وغيرها من مدن الشرق والغرب .

* * *

وبعد فأشعر أن الحديث لم ينته ، وسأعقبه بحديث آخر عن المخطوطات الباقية ، والتي هي الآن في حوزة مكتبة الأوقاف الإسلامية ، وتضم على قلتها الكثير من النفائس . .

التعريف بالمخطوطات

تسمية أزواج النبي (ص) وأولاده

لأبي عبيدة معمر بن المثنى

تحقيق : الدكتور نزيه الموسى

بين يدي النشرة

أولاً : مكتبة أبي عبيدة :

أبو عبيدة ثالث اثنين هما الأصمعي وأبو زيد ، من أعلام القرن الثاني الهجري ... يُمثِّلُون كالتصوي الخفاقة في بيئة البصرة العلمية ، ويمثّلون ملامح ثقافتها الكلية ... في علوم العربية !

ويحوز أبو عبيدة من بينهم قصب السبق في كثرة التأليف ، وبعد مراعى التصنيف ... حتى ليصحّ القول : أنّه « معلقة » القرن الثاني الهجري في آفاق الثقافة اللغوية ... والعامة ...

ويتناقل أصحاب التراجم والطبقات أن مؤلفاته بلغت المائتين (١) ويلتقون على تعداد نصيب وافر منها يبلغون به مائة ونيفاً من المصنّفات !

وأكبر الظن أن مؤلفاته كاملة كانت معروفة مستمارة لدى أصحاب التراجم ، حتى القرن السابع ! فقد أحصى ابن خلكان المتوفى (٦٨١ هـ) عديداً من مصنّفات التي قال : إنّها تقارب المائتين ... وأتبع ما أحصى بقوله

(١) ياقوت : معجم الأدباء ١٩/١٦٢ وابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٣٢٦

«... وغير ذلك من الكتب النافعة ولولا خوف الإطالة لذكرت جميعها^(١)» .
بيد أن الذى بلغنا من هذه المؤلفات ، وتيسر له النشر ، قليل لا يتجاوز
ثلاثة^(٢) من مائتى مؤلف^١

ولذا فماتزال صورة أبى عبيدة العلمية «غيبية» عن الذين يرجون أن
يتلمسوها فيما صنف... إلّا بالقدر الذى تسعف فيه هذه القلة القليلة من
مصنفاته التى سلمت لنا أو سلمت للنشر... وتلك التفت المتناثرة المنساحة
فى أطواء كتب التراث تتفشى فيها تفشيًا متوافراً لا ينحصر .

ومن الحق أن هذه التفت المتناثرة المنساحة قد تنفع فى تكوين صور
كلية أو جزئية عن مصنفات من مؤلفات أبى عبيدة التى لم تبلغنا... إذا
فُرِّغَ لها جهد جاهد مستوعب يستغرق الشطر الأكبر من مادة « التراث »
ويعمل على تخريج « نصوص أبى عبيدة وتحقيقها من أطواء هذه المادة...
ثم يصنفها ويجمعها فى أضياع كل تنسب إلى كتاب له مذكور... أو مقدر...
فانه ليس كل مؤلفاته مذكوراً... والأمل الكبير أن تنكشف الأيام المقبلة
عن هذه الحقيقة^(٣) وإن لها مثالا فيما بين أيدينا ، اليوم من هذا الكتاب .

(١) الوفيات ٣٢٦/٤

(٢) وهذا بيانها مرتبة حسب تواريخ النشر : ١ — الحيل ، طبع فى
حيدرآباد ١٣٥٨هـ بتحقيق المنشرق كرنكو ٢٠ — مجاز القرآن ، نشر فى القاهرة
١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ بتحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين ٣٠ — العقدة والبردة ،
نشر فى نوادر المخطوطات (المجموعة السابعة... القاهرة ١٣٧٤ — ١٩٥٥)
بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . أما كتاب « النقائض بين جرير والفرزدق »
الذى حققه يفتان وطبع فى ليدن ١٩٠٥ فليس خالصا لأبى عبيدة — فيما نرى —
وإن يكن فيه شطر كبير من رواية أبى عبيدة وشرحه نص عليه صراحة ،
وهو الشطر الذى نطمئن أنه لأبى عبيدة .

(٣) فتقف على مؤلفات للرجل مما أغفل أصحاب التراجم والطبقات ذكره .

ولكن هذه الأضاميم تخرج من هذه النكت ، مهما يبلغ الجهد في استقصائها وتحقيقها ، ليست تغني غناء النصوص الكاملة لمؤلفات الرجل في تمثيل صورته العلمية بأبعادها الحقيقية ، ووصف طريقته في الثقافة اللغوية . . . هذه الطريقة التي تمثل صفحة ناصعة في تاريخ هذه الثقافة ، في القرن الثاني ، وتفسر هذا الاتجاه الثقافي الموسوعي (الأخباري) وبواعثه تفسيراً شافياً .

وتظل مكتبة أبي عبيدة بحاجة إلى نشر النصوص الكاملة لمؤلفاته فهي فيما تقتضي الدراسة العلمية الموضوعية الشاملة ، أنفع وأدق وأشفي .

ثانياً : نسبة الكتاب إلى أبي عبيدة .

لا يجد الباحث فيما نحصى كتب الطبقات والتراجم والفهارس من تصانيف أبي عبيدة ذكر هذا الكتاب .

لكن إغفال ذكره في مصنفات أبي عبيدة لا يضير نسبته إلى الرجل — فيما أرى — فقد أسلفنا أن كتب الطبقات والتراجم تذكر أن له مائتي مصنف . . . ثم لا نحصى منها غير مائة ونيف . . . بل وجدنا بعضها يقصر عن ذكر جميع مؤلفاته خشية الإطالة .

وأول اليقين أن هذا الكتاب مما أغفل أصحاب التراجم ذكره بين كثير من كتب الرجل النافعة التي لم يسموها ، فان الأثبات التي كانوا يعقبون بها على ترجمتهم لأبي عبيدة . . . إنما يوردونها للتمثيل على مؤلفاته الكثيرة . . . ويصرحون ، إذ يعرضون لإحصائها ، أنهم يعدون بعضها أو جانباً منها . . . ويظل عدد وافر من مؤلفاته لا يظفر حتى بالذكر والتسمية . . . ونظن أن هذا العدد الوافر غير المسمى مظنة يرد إليها كل مؤلف للرجل تنكشف عنه الأيام ولم يذكره أصحاب التراجم ، شأن هذا الكتاب .

وأبو عبيدة صاحب التصانيف الكثيرة رجل ذو شخصية موسوعية .
وتدل التصانيف المعينة التي تذكرها له كتب الطبقات والتراجم على حقيقة
قوية بينة ، تلك أن الرجل لم يحدّد لون من ألوان التخصص ولم يقصر على
ميدان بعينه من ميادين الثقافة ، إنما يحيط بألوان الثقافة ويضطرب
في ميادين التخصص جميعاً ، يملأ في أيام العرب ويروى شعرهم ويصطنع
الشرح اللغوي ، ويذهب في النحو مذاهب يخالف بها النحويين ويؤلف
في تاريخ الجاهلية والإسلام ، ويقف إلى تفاصيل من أخبار قبائلهم
وشعرائهم ، ويعمل على تفسير القرآن ، ويسبق إلى التأليف في غريب
الحديث ، وكأنما أفرغ في محفظة علم القرن الثاني وثقافته العربية ،
فكان أكل القوم وأوعبهم ، يمدّ مع أصحاب كلّ علم وفنّ ، وهو
مع ذلك متخصص عميق التخصص في هذه العلوم والفنون جميعاً بحسب من
يفتشه عن أيّ منها أنه لا يحسن غيره ، لسعة إحاطته وعمق معرفته بكلّ
العلوم والفنون ١

وكان الحديث ، وهذا الكتاب شيء منه وأمر من أمره ، علماً من العلوم
التي أحاط بها ، بل هو فيما يحكي ابن الأثير في مقدمة النهاية أول المؤلفين
في غريبه ، ونحن هنا لا نعتد بهذه الأولوية إنما نستدل بما يحكيه ابن الأثير
على اشتغال الرجل بالحديث ، ثم هو قد روى الحديث وأسنده إلى هشام^(١)
ابن عروة كما روى عن عبد الوهاب الثقفي عن يحيى بن سعيد^(٢) وهو يسند

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق (المخطوط بدار الكتب الظاهرية)
٢٢/١٧ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ٢٤٦/١٠ وابن خلكان : وفیات
الأعيان ٣٢٣/٤ .

(٢) انظر أوائل كتاب الحيل لأبي عبيدة وخاصة ص ٦ .

إلى هشام بن عروة ويسند إلى عبد الوهاب في هذا الكتاب الذي بين أيدينا
ينضاف إلى هذا أن كتب رجال الحديث تصفه بالصدوق وأنه كان من أثبت
الناس^(١) .

ليس من المستغرب أن يكون أبو عبيدة مؤلفاً في أزواج النبي ﷺ
وأولاده إذا كان هذا شأنه في الحديث ، وإذا كان ذلك شأنه في سعة الإحاطة
والكمال والموسوعية .

ويقع لنا في ثبوت مؤلفات أبي عبيدة كتاب في « تسمية من قتلت
بنو أسد^(٢) » ونحسب أن عنوان الكتاب الذي يماثل عنوان هذا الكتاب
في « تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده » يئنة أخرى توثق نسبة الكتاب
إليه ، وتتسق مع هذه الموسوعية التي كان يتسم بها أبو عبيدة وما كان
يقصد معها إلى حصر الموضوعات بصورة مركزة وجيزة .

ونسبة الكتاب إلى أبي عبيدة على صفحة العنوان وفي قرارة الإسناد
صريحة صريحة ، وقد رواه عنه أبو محمد عبد الله بن الفضل بن منجوف
السدوسي وهو أحد من ذكر ابن النديم^(٣) أنهم رووا عن أبي عبيدة .
ثم إن الذين رووا هذا الكتاب بإسناده الصريح إلى أبي عبيدة كلهم
من العلماء الثقات الجلة الأثبات^(٤) . . . وبينهم ابن السراج (عالي الطبقة

(١) ابن حجر : تقريب التهذيب ٥٠٢ وتهذيب التهذيب ٢٤٨/١٠ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ٥٤ وابن شاكر الكتبي : عيون النوارخ

(المخطوط بدار الكتب الظاهرية) ٢٥٧/٣ و .

(٣) الفهرست (تصوير مكتبة خياط) ص ١٠٩ .

(٤) انظر حواشي هذه النشرة على إسناد رواية الكتاب في الصفحات

الثلاثة الأولى .

في الحديث (١) والحافظ السلفي العالم المتقن المثبت (٢) ، وأبو الحسين ابن ميمون الزاهد الواعظ « الناطق بالحكمة » (٣) ، وهو إسناد متسق متوافق في إشارته الزمانية والمكانية مع تواريخ هؤلاء الرجال ووقائع حياتهم (٤) ، ثم هو إسناد موثق صحيح لم يداخله أيًا منهم فيه ريب وهم من هم في التثبت والتحري ، والكتاب في تسمية أزواج النبي ﷺ وذلك أمر من أمر سيرته ﷺ والأمر دين .

ولعلّ هذا الإسناد العالي المتصل إلى أبي عبيدة أن يكون وحده دون ما سبقه ، وما يتلوه ، كافياً في توثيق نسبة الكتاب إلى الرجل وتوكيدها .

ولكن دليلاً آخر لا يقلّ عن هذا الدليل قوة في تصحيح نسبة الكتاب للرجل ، ذلك أن مادة الكتاب تدور في تواريخ من أعقبوا أبا عبيدة من مؤلفي السير والتواريخ منسوبة إلى أبي عبيدة صراحة . . . مطابقة لما في الكتاب الذي بين أيدينا مضموناً وشكلاً .

وقد حرصت أن أتعبق المقبوسات من الكتاب في تأليف التاريخ والطبقات مما أعقبه ، ورصدت قدراً كبيراً بإشارتي إليه في حواشي نشري للنص ، ومع هذا فإني أوتر أن أعود إلى فضل بيان في هذا الأمر لا تكثراً

(١) انظر : بنية الوعاة ٢١١ .

(٢) انظر : شذرات الذهب ٢٥٥/٤ — والأعلام ٢٠٩/١ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ٢٧٤/١ وما بعدها .

(٤) أرصد هذا التوافق والانسجام بملاحظة التراجم الوجيزة لهم في حواشي النشرة من حيث تواريخ وفياتهم وتوثيقهم وعلاقات الرواية والتلمذة فيما بينهم وإن شئت المزيد من التثبت في هذه السبل فتعقبه في مصادر الحواشي المشار إليها .

ولا نزيداً ، وإنما قصداً خالصاً إلى هذا التوثيق الذي أنا شديد الاطمئنان
إليه في نسبة الكتاب للرجل . . .

يذهب أبو عبيدة إلى أن جملة من تزوج ثمانى عشرة امرأة وقد روى
هذا عنه ابن كثير^(١) .

ونقل عن أبي عبيدة تواريخه في : وفاة خديجة ، وزواج النبي من سودة
وزواجه من عائشة ، وزواجه من حفصة ، وزواجه من زينب بنت جحش ،
وزواجه من أم حبيبة ، بصورة مطابقة لما نجد في هذا الكتاب : ابن
عبد البر وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن سيد الناس ، وابن حجر .

بل نجد ابن عبد البر ينقل عنه معظم خبر ميسونة . . . وصفية . . . ومناء
السلمية بصورة مطابقة أو مقاربة^(٢) ١ . . .

وفي مقبوسات كثيرة . . . منقولة عن أبي عبيدة . . . نلقى الإشارة
صريحة إلى الكتاب باسمه على نحو لا يحتمل شكاً ولا يعتريه لبس . . . ومادة
هذه المقبوسات ماثلة في الكتاب . . . ويبدو أنها بعض ما انفرد بروايته
أبو عبيدة .

يقول ابن الأثير في ترجمة « هند بنت يزيد بن البرصاء من بنى أبي بكر
ابن كلاب » : « هكذا ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم^(٣) » .

(١) البداية والنهاية ٥ / ٢٩٨ .

(٢) انظر الاستيعاب ٤ / ١٨٦٥ ، ١٨٧١ وقارن بنص الكتاب !

(٣) أسد الغابة ٥ / ٥٦٤ .

وكذلك لا يزيد ابن حجر إذ يترجم لها قائلا : « هند بنت زيد الكلابية المعروفة بابنة البرصاء . سمّاها أبو عبيدة وذكرها فيمن تزوّجها النبي صلى الله عليه وسلم »^(١) .

وكلّ الذي أورده ابن حجر في ترجمة فاطمة بنت شريح هو : « فاطمة بنت شريح الكلابية ، قل ابن بشكوال عن أبي عبيدة أنّه ذكرها في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم »^(٢) .

وقال ابن سيّد الناس فيها : « فاطمة بنت شريح ، قال ابن الأمين ، ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم »^(٣) .

وجدير بالالتفات أن طبيعة هذه المقبوسات تكون دليلا آخر على صحة نسبة الكتاب إلى الرجل ، فإن هذه المقبوسات ، وإن تكن في بعض الحين تقلا وافيًا لقرات برمتها عن الرجل في كتابه هذا ، تتركز في قل التواريخ المتصلة بزواج النبي من نسائه ، وتسميات هؤلاء الأزواج وبخاصة أولئك اللواتي يُختلف في أمرهن وأسمائهن .

وظاهر أن السمة القوية لهذا الكتاب تتمثل في القصد إلى تحقيق التواريخ ، وتعيين الأسماء ، بأكثر مما تقصد إلى استيعاب الأخبار والإحاطة في روايتها ، ومن هنا فإن طبيعة المقبوسات تماثل طبيعة الكتاب وتلتقي معه في روح منهجه ١

(١) الإصابة ٤/٤١١ ... وانظر ما داخل اسمها من التغير على أن المصدر واحد ولعله يشير إلى تعدد نسخ الكتاب كما نرى .

(٢) الإصابة ٤/٣٧٠ .

(٣) عيون الأثر ٢/٣١٠ .

وأكبر الظن أن أبا عبيدة إنما قصد إلى التأليف في هذا الموضوع لما رآه موضوعاً مختلفاً فيه ... وما أكثر الخلاف بين أصحاب السير والطبقات في تسمية أزواج من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ... وما أوسع التباين بينهم في التواريخ المتصلة بزواجه منهن .. ومن هنا كان وكد الرجل إلى التحقيق ... في هذا الشأن ... والترجيح الذي ينتهي به إلى آراء خاصة في شأن التسميات والتواريخ تناقلها عنه أصحاب التراجم والسير والتاريخ .

ويستثير هذا الدليل دليلاً منهجياً آخر .. فإن أبا عبيدة الرواية — فيما تبين لنا — ينحو نحواً من الاجتهاد يجعله لا يستسلم لمادة الرواية بين يديه ... بل ينظر فيها ويمنع النظر ... ثم يتخذ لنفسه موقف القبول ... أو الترجيح بين الروايات .. ويبلغ به الأمر أن يرفض ما لا يطمئن إليه .. وهو يلجأ إلى الاستدلال على ما يعتقد صواباً ... ويتخذ ثقافته اللغوية ... ويتخذ معارضة الوقائع ومحاكمها عمدة في المناقشة والاستدلال والترجيح بين الروايات والآراء .

ومنهج الرواية المجتهد هذا هو أصل الكتاب فيما نحسب ... والنظر إلى مضمون هذا الكتاب في إطار التواليف الأخرى حوله يؤكد هذه الحقيقة ... فإن من يقرأ حديث أزواج النبي في تواليف الذين سبقوا أبا عبيدة وأعتبوه من أصحاب السير والتراجم يكتشف هذا المنهج الاستقلالي والاجتهادي لأبي عبيدة الرواية .

ومنهج أبي عبيدة الرواية المثبت الذي ينظر في الروايات نظرة إيمان واستيثاق ومحاكمها على ضوء ثقافته اللغوية .. وعلى أساس من معارضة الوقائع

التاريخية ومحاكتها ، واضح ثابت في الكتاب^(١) .

وهناك دليل نحوي ، من داخل الكتاب ، يقوم حجة توثيق أخرى —
فما أحسب — تؤكد أن الكتاب لأبي عبيدة .

وهذه الحجة تمثل في رواية أبي عبيدة قول النبي صلى الله عليه وسلم
لأم سلمة : « أما إني لا أتقصك مما أعطيت أختك فلاته شيئاً : جرتين
ورحاتين ووسادة من آدم حشوها ليف ، ... فإن هذا المثنى (رحاتين)
مفرده رحاة ... والمفرد الذي تعرفه للمعجم هو رحي .. والتثنية الشائعة ،
في معاجم اللغة ، هي على (رحيان ، رحيين ، رحوان ، رحوين) ... والتثنية
التي تتناقلها كتب الطبقات في رواية هذا الحديث هي على (رحيين) ...
وكل ذلك على أن المفرد رحي ... أما إirاده على رحاة وتثنيته على (رحاتين)
فهو مذهب أبي عبيدة في تجويزه دخول تاء التأنيث على ألفه المقصورة خلافاً
للنحويين^(٢) ...

ومع الاطمئنان الثابت إلى صحة نسبة الكتاب إلى الرجل ، هذا
الاطمئنان الذي يستند إلى الأدلة الوثيقة البيئية التي سلفت ، أجد أمانة البحث
تقتضي أن أسجل إحساساً خلفته في نفسي متابعة مقبوسات المؤلفات اللاحقة
من كتاب أبي عبيدة هذا . فإنني أحسب أنه كان لهذا الكتاب غير
نسخة .. وأن بعض نسخه كان في الأندلس ، وعنها نقل ابن عبد البر وابن

(١) انظر ، على سبيل التمثيل ، تدليله على أن عبد مناف ولد في الجاهلية...

وعلى توقيت زواج النبي من حفصة ..

(٢) انظر مجالس العلماء للزجاجي ص ٥١ والخصائص لابن جني طبعة

دار الكتب ٣/٣٠٩ .

الأمين وابن بشكوال . وعلى أن النسخة التي بين أيدينا فيما يدلّ إسنادها وتداولها وخطها مشرقية إلّا أن المرجّح وجود نسخة أخرى ، على الأقل ، من هذا الكتاب كانت متداولة في المشرق وعنها نقل النووي وابن حجر! والظاهر أن تعدّد النسخ وما تهيأ لها من سعة التناقل والرواية أوجد بينها فروقاً قليلة طفيفة لكنها لم تضر أصل المضمون في شيء

فالتفصيل الأزيد الذي نجده لدى ابن عبد البر في خبر ميمونة هو فضل بيان للأنسب وتوضيح العلاقات الاجتماعية بين شخوص الرواية ولكن أصل المضمون متفق بين ما يروي ابن عبد البر عن أبي عبيدة في خبر ميمونة وما نجده في متن هذا الكتاب

وكذا نجد توفية تفصيلية في حديث صفية أوردتها النووي نقلاً عن أبي عبيدة ، تلك : أنها ماتت سنة خمسين وتاريخ وفاتها هذا ليس في الأصل المخطوط بين أيدينا .

كما نجد ابن حجر ينقل في خبر سناء السلمية عن أبي عبيدة قوله : وهي عمّة عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت أمير خراسان وهذه القرابة لم تثبت في نصّ النسخة التي ننشرها .

ثالثاً — هذه النسخة المخطوطة وعمل في نشرها :

الأصل المخطوط الذي أنشره لكتاب تسمية أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) وأولاده موجود بدار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٤٥١٤ — عام .

وهي نسخة كاملة فيما ينبغي مبدؤها ومنتهاها

فعلى الصفحة الأولى نجد عنوانها على هذا النحو :

الجزء فيه

تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده

تصنيف أبي عبيدة معمر بن المثنى

من رواية أبي عبد الله الحسين بن عمر بن العلاف وأبي الحسن علي بن إبراهيم اللالكى جميعاً عن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن سمعون المذكور^(١)، وعنهما^(٢) الشيخ الإمام الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن محمد السلفى الأصبهاني رضى الله عنه .

ونجد أسفل هذا بخط ابن المحب ... ثبت السند الذى استقى عن طريقه علم النسخة وروايتها .

وسند ابن المحب ، فى رواية الكتاب ، يلتقى مع السند الوارد فى متن هذا الكتاب عند أبي الفضل أحمد بن عبد الله بن سليمان الوراق ويتخذ بعد الوراق طريقاً مختلفاً لإسناد يتصاعد متصلاً إلى ابن المحب ... ولعل فى هذا دليلاً على ما أسلفنا من القول بسعة رواية الكتاب وتعدد نسخه فى المشرق والأندلس !

ويبدو لنا أن ابن المحب هذا هو آخر من انتهى إليه علم النسخة وتملكها ... وقد كتب ثبت منده فى تحصيلها بالغرية من أعمال حوران سنة تسع وخمسين وسبعائة ... ثم حملها إلى دمشق حيث مات بسفح قاسيون ... ولعل هذا يفسر لنا كيف استقرت النوى بهذه النسخة فى دمشق وكيف آلت إلى دار الكتب الظاهرية .

(١) مذكور فى ظهر الورقة الأولى .

(٢) بتقدير « رواية » قبل الشيخ .

ونظنّ ظناً أن إطلاق اسم الجزء عليها أمرٌ من أمرِ عصرٍ صار يعرف أمثال هذه الرسائل بالأجزاء . . . أو يجعلها في أجزاء من مجلدات تضمّ عدداً من مثل هذه الرسائل في كلّ منها . . . وقال ابن الجزري في محمد بن عبد الله ابن أحمد بن المحب أستاذه صاحب النسخة الذي انتهى إليه علمها وتملكها أنّه : « سمع مالا يحدّ ولا يوصف من الكتب والأجزاء . . . وانتهى إليه الحفظُ في زمانه رجلاً ومتناً ومعرفةُ الأجزاء ورواتها » (١) .

وعلى الصفحة الأخيرة يطالعنا :

« آخر الجزء

والحمد لله وحده وصلواته على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وغفر الله لمن كتبه ولمن قرأه ولجميع المسلمين » .
ولسنا نجد اسم كاتب هذه النسخة . . .

والذي نجده على صفحة العنوان ، مما كتب ابن المحب سنة ٧٥٩ هو تاريخ قراءته إيّاها . . . على حين كانت مكتوبة قبل ذلك بزمان فيما تدلّ صفحة الإسناد التالية لصفحة العنوان . . .

وفي صفحة الإسناد نجد أن تاريخ المخطوطة يعود إلى سنة ٦٥١ وهي آخر تواريخ تناقلها . . . ولعلّها كتبت بعد هذا التاريخ بزمان قصير .

والمخطوطة في عشر ورقات من القطع الصغير قياسها ١٨ × ١٣ سم . وخطها نسخيّ معتاد قديم . . . مهمل في كثير من الكلم . . . خال من الشكل والضبط إلا في بعض الكلمات القليلة . . .

وجدير بالإشارة أن الشكل والضبط على قلتهما يداخلهما الخطأ في بعض المواطن وقد أشرت إلى مواضع من مواضع هذا الخطأ في نشرتي لتخصّص

(١) انظر في ترجمة ابن المحب : غاية النهاية ١٧٤/٢ — ١٧٥ .

أما السطور فهي سبعة عشر في الصفحة ٩ و، وخمسة عشر في الصفحة ١١
وفي سائر الصفحات تسعة عشر سطرا .

وقد تخرّمت الأرضة أبعاضا صغيرة من صفحات المخطوطة لكن
ذلك لم يضر صورة الكتابة فيها إلا في كلمات معدودات ! !

ومهما يكن من الأمر فإن النسخة يئس الكتابة مقروءة . . .
لكن ناسخها على وضوح خطّه وبيانه قد أسقط أثناء الكتابة كلمات قدرتها
ونبهت عليها في حواشي نشرتي هذه . وهي كلمات متعينة لا تحتل غير وجه
واحد بدليل من السياق النصي . ولقد ميزت ما قدرت أن أسقط من أصل
المخطوطة بوضع اللفظة المقدرة بين قوسين معقّفين هكذا [] .

ولعلّ من النافع أن أشير إلى منهج الناقل أو الناسخ في الكتابة فإنّه
على ما أسلفت من سلامة خطّه وبيانه قد يسقط أبعاضا من الكلمات فيكتب
جويرية : جويرة . . . ولا يلزم نهجا واحدا فيما يكتب فهو حينما يظهر الألف
في ثلاث والسلام خطأ وحينما يلقيها : ثلث . . . السلم ، بل هو في بعض الأحيان
يلقى ألف « يا » النداء . . . فيكتب يرسل بدلا من يرسل برغم أنّه في
مواطن أخرى يكتبها على الوجه : يرسل . . . يا نبي . . . وحينما يثبت
ألف هؤلاء . . . كما يسقط ألف ابن ، حينما ، حيث يجب أن تثبت . . . الخ
ولكن أمرين آخرين التزمهما عند الكتابة لم يخالف عنهما : هما قصر
الألف المدودة وتسهيل الهمزة . . .

وقد آتت أن أثبت ما قصره على أصله من المدّ . . . فهو الأفصح
فيما تشهد نصوص اللغة الموثقة وأصولها المعتمدة !

أما تسهيل الهمزة فعلى أنّ أحسبه صورة من تأثر أبي عبيدة بولائه

إذ هو مولى تيم قريش . . . ومشهور ما يؤثر عن قريش في تسهيل الهمة . . .
إلا أنني آثرت أن أحقق الهمة وأختار النبر وهو الظاهرة الالهجية التي
اصطفاها أعلام اللغة والنحو من لهجة تيم وقدّموها على طريقة قريش في نطق
الهمة بالتسهيل .

وقد جهدت أن أخرج من المخطوطة أقرب صورها إلى الحق وأشبهها
به . . . تتبعمت نصّها . . . معرّفاً برجال منده . . . معينا ما خالطه من الشكل
الخاطئ والسقط القليل . . . متنبها من صحة الأنساب الواردة . . . منبها على
وجوه مخالفتها عن للأثور في النسب حين تقع مخالفة !

وعملت على التحقق من توجيه النصوص المهمة للملبسة بمعارضتها على
الأمهات من كتب السيرة والتاريخ والأنساب واللغة حريصا في ذلك كله على
وصف الأصل عندما يعرض لي وجه من الترجيح أو التصويب . . . فصورة
الأصل بكل ما فيها من الدلالة بينة بين يدي القارى . . . وعلى في الوصول
بالنص إلى صورة الحق للصحة بين محدّد متعين أرصده خطوة خطوة
فما يرى القارى بأتم عينه .

وقد عرفت بالأما كن الواردة في النصّ تعريفا وجيزا . . . وعينت
للآيات الواردة فيه مكانها من السور . . . كما رددت رواياته إلى مظانها قبل
أبي عبيدة وبعده .

وآثرت أن أحيل القارى عندما يعرض موضوع من موضوعات الكتاب
إلى مصادر الموضوع لتكون هذه الذئرة فهرسا أو ما يشبهه في دراسة مسائل
الكتاب وموضوعاته وقضاياها . . . ولأضع كلّ مسألة في مكانها من المصادر
السابقة واللاحقة .

وإذ وجدت أنّ للسائل التاريخية التي يتناولها الكتاب موضوع اختلاف بين أصحاب السير والطبقات والتاريخ رأيت أن لا أقحم نفسي في هذا الخلاف . . . برغم ما يجد القارى من محاولتى إلقاء الأضواء على بعض المسائل المستغربة التي ألفتها لدى أبي عبيدة .

ثم عمدت إلى تفقير النص . . . وإثبات علامات الترقيم في أماكنها ليكون شكل النص أعون على بيان معناه . . . فإني أرى الكاتب لا يثبت من ذلك إلا علامة نهاية الفقرة وهي دائرة في وسطها نقطة . . . أو حرف الهاء .

وقد أثبتت على صفحات هذه النشرة أرقام صفحات المخطوطة فارقا بين وجه الورقة وظهرها بأن رمزت للوجه بحرف « و » وللظهر بحرف « ظ » . . . وهكذا . . . و ٣ ظ مثلأتاني في بداية ظهر الورقة الثالثة . . . و ٤ و تأتي في مفتتح وجه الورقة الرابعة وتدل عليه . . . وأثبت أرقام الصفحات بين قوسين . . . هكذا [] .

وأختتم عملي المتواضع في نشر هذه المخطوطة وأنا أحس أن بينها وبين ما أنشد من الكمال مدى بعيدا . . . والكمال لله وحده . . . وحسبي أنني أخلصت لعملي فيها الجهد والسمي . . . ورجائي أن تكون حققت بعض ما أملت من وراء تحقيقها في إحياء مكتبة أبي عبيدة ونشرها على الدارسين . وأسأل الله أن يغفر لي ما قد يكون خالط عملي من سهو أو زلة فإني لم أتحرّ غير الحق . . . والله وليّ التسديد والهدى .

نص الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلواته على سيدنا محمد نبيه الكريم

أخبرنا الفقيه الإمام العدل شرف الدين أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام النحوي^(١) قراءة عليه وأنا أسمع في يوم الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وستمائة بالإسكندرية المحروسة ،

أخبرنا الشيخ الفقيه الثقة الأمين المحدث الفاضل أبو محمد عبد الله بن عبد الجبار بن عبد الله العثماني^(٢) وفقه الله وفق به قراءة عليه وأنا أسمع بمدينة قوص^(٣) حرسها الله يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم سنة أربع عشرة وستمائة قال :

أخبرنا الشيخ الفقيه الإمام الحافظ شيخ الإسلام أوحى الأنام فريد العصر

(١) السفاقي الأصل ، الإسكندراني . عاش بين ٥٧٣-٦٥٤ هـ . له ترجمة في شذرات الذهب ٥ / ٢٦٦ وحسن المحاضرة للسيوطي ١ / ١٧٧ ، ١٧٨ والنجوم الزاهرة ٤٠ / ٧ .

(٢) الإسكندراني التاجر المحدث ، سمع من السلفي فأكثر ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٦١٤ هـ عن سبعين عاماً . شذرات الذهب ٥ / ٦٠ .

(٣) قال فيها ياقوت : مدينة كبيرة عظيمة واسعة ، قصبة صعيد مصر . . معجم البلدان (نشر صادر) ٤ / ٤١٣ .

أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السلفي^(١) الأصهباني رضي الله عنه
فيما أجاز لي قراءة عليه وأنا أسمع في يوم السبت الثالث والعشرين من شهر
رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة قال :

أخبرنا الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن السراج^(٢)
بقراءتي عليه ببغداد من أصل سماعه سنة أربع وتسعين وأربعمائة ،
أنا الشيخان أبو عبد الله الحسين بن عمر بن محمد بن العلاف للمصري^(٣)
وأبو الحسن علي بن إبراهيم المالكي^(٤) بقراءة والدي عليهما سنة ثلاث
وعشرين وأربعمائة قالا :

أنا أبو الحسين محمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون^(٥) ، ثنا أبو الفضل
(١) رحل يطلب العلم فأكثر من السماع وطوّف بآفاق العالم الإسلامي
واستوطن الإسكندرية دهرأ ، وبني له العادل (وزير الظافر العبيدي) بها
مدرسة ... ثقة ورع متقن متثبت .. عمر طويلا وتوفي سنة ٥٧٦ هـ .
شذرات الذهب ٢٥٥/٤ ، والأعلام ٢٠٩/١ .

(٢) القاري اللغوي ، قال ابن عساكر : كان عالي الطبقة في الحديث
والقراءة والنحو واللغة والعروض . ولد سنة سبع عشرة أو أول سنة ثمانى
عشرة وأربعمائة ببغداد ودخل مكة والشام ومصر ، وعاد . روى عنه السلفي
وقال : في شيوخه كثرة توفي في صفر سنة خمسائة وقيل إحدى وخمسمائة وقيل
اثنتين وخمسمائة . بنية الوعاة ٢١١ .

(٣) كان ثقة ، ولد سنة ٣٤١ وتوفي سنة ٤٢٦ هـ . وانظر : تاريخ
بغداد ٨٣/٨ .

(٤) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٥) هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون .
بغدادى ، زاهد واعظ ، كان يلقب الناطق بالحكمة . ولد سنة ٣٠٠ وتوفي
سنة ٣٨٧ هـ . وانظر : تاريخ بغداد ٢٧٤/١ وما بعدها ووفيات الأعيان
٤٣١/٣ — ٤٣٢ ، والأعلام للزركلى ٢٠٤/٦ .

أحمد بن عبد الله بن سليمان بن عيسى الورّاق^(١) ، ثنا أبو الحسين أحمد
ابن محمد بن عبد الله بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي^(٢) قال :
قرأ علينا أبو محمد عبد الله بن الفضل بن شقيق بن (٢ و) منجوف
السدوسي عبويه^(٣) قال :

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى :
تسمية^(٤) من تزوّج النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية والإسلام ،
الأبكار منهم ،
والثيبات^(٥)

(١) روى عنه أبو الحسين بن ميمون . . وكان ثقة . تاريخ بغداد
٢٣٣/٤ .

(٢) في تاريخ بغداد ٤٢/٥ — ٤٣ : أبو الحسن . . . صاحب أخبار
وحكايات . . حدث عنه العباس بن الفرّج الرياشي ومحمد بن عبادة الواسطي . .
وروى عنه أبو بكر بن الأنباري ومحمد بن يحيى الصولي . . ثقة . . . توفي سنة
٣٠٧ هـ .

(٣) في الأصل : أبو محمد عبيد الله (بضم العين على هيئة التصغير . . وكسر
الدال ، وهو في الدال خطأ نحويّاً) . . . عبويه . . . بالعين المهملة والباء
المشدة . . . وفي الفهرست ص ١٠٩ : عبد الله بن الفضل بن سفيان بن منجوف
السدوسي ويكنى أبا محمد . . . أخباري روى عن أبي عبيدة . . . وهو في
الفهرست غنويه أما عبويه وهي صورة أخرى محتملة فتقال في ترخيم اسم مثل
عبد الرحمن أو عبد الرحيم . . . وانظر اللسان والتاج (عبا) .

(٤) في أسماء أزواجه (ﷺ) انظر : السيرة لابن هشام (بتحقيق السقا
وآخرين) القسم الثاني ص ٦٤٣ . وفي أممائه وعددهن انظر : الطبقات
١٥٩/٨ وما بعدها والاستيعاب ٤٤/١ وما بعدها .

(٥) صورة الكتابة في الأصل ، على هيئة الثائب ، وليست صيغة جمع
للتثنية في المعاجم التي بين يدي .

وسنهن ،
 وعددهن ،
 وتحت من كن قبله ،
 ومن ولد له منهن ،
 ومن دخل بها ،
 ومن لم يدخل بها ،
 ومن طلق منهن قبل أن يدخل بها ،
 ومن طلق وقد دخل بها ،
 ومن طلق منهن ثم راجعها ،
 ومن مات منهن عنده ،
 ومن قبض صلى الله عليه وسلم وهي عنده ،
 ومن تزوج منهن بمكة ،
 ومن تزوج منهن بالمدينة وبغيرها من البلدان ،
 ومن تزوج منهن من بطون قريش ،
 ومن تزوج من سائر العرب ،
 ومن تزوج من بنى إسرائيل ،
 ومن خطب ولم يتزوجها ،
 ومن هم بتزويجها^(١) ولم يخطبها ،

(١) كذا في الأصل ، وتأويله بعيد غير سائق . . . والأقرب أن يقال :
 بتزويجها . فإن قال قائل : لعله قدر أن يكون التعبير : ومن هم بتزويجها من
 نفسه أو بأن يزويجها أحد منه تزويجاً ، قلنا إن الأزهرى في التهذيب يذهب إلى
 أن ذلك ليس من كلامهم فليس يصح أن يقال زوّجت منه امرأة . وانظر اللسان
 (زوج) .

وأوقات تزويجه إياهن ،

ومن اتخذ من السراري من الإمام^(١) .

فجملة من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة امرأة ، منهم سبع من أخخاذ قريش ، وواحدة من حلفاء قريش ، وتسع من سائر قبائل العرب ، وواحدة من بنى إسرائيل من بنى هارون بن عمران ، فذلك سبع عشرة امرأة من قبائل العرب ، وواحدة من بنى إسرائيل ، فجميع ذلك ثمانى عشرة امرأة^(٢) .

وجملة من اتخذ من الإمام ثلاث^(٣) ، فأتخذ اثنتين من العم فولدت له

(١) نجد هذا التصنيف ، وفي الحديث عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، بصورة جزئية في سيرة ابن هشام ٢/٦٤٧ ، ٦٤٨ . وانظر الروض الأتق ٢/٣٦٨ .

(٢) في الأصل : ثمانية عشرة . وهو خطأ يتن !
وقد نقل عدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم هذا ، عن أبي عبيدة ، ابن كثير في البداية والنهاية ٥/٢٩٨ .

(٣) في الكلام للوسع لللاحق على كل زوجة يعرض أبو عبيدة لوليدتين اثنتين هما مارية القبطية ، أم ولده إبراهيم ، وريحانة (وقال بعضهم ربيعة) ولعله لم يفرد الثالثة بالذكر والبيان في هذا التأليف لأنه صنفه في (تسمية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم) ، والتحقيق في الوقائع والتواريخ التي لا بست زواجه منهن ... وهذه الثالثة غير مسماة !

وحين يروى ابن الجوزي والمحجب الطبري وابن سيد الناس وابن قيم الجوزية وابن كثير عن أبي عبيدة أنه كانت للنبي أربع ولائد (سراري) : مارية وهي أم ولده إبراهيم ، وريحانة ، وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش ... لا نجد ذلك منافياً لما ورد في هذا التأليف ، ذلك أن اثنتين من هؤلاء الأربع ، فيما تروى هذه المصادر جميعاً ، =

واحدة منهما ولم تلد الأخرى، وأعتق واحدة من العرب حين هم أن يبتنى بها .
 فأول من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم منهن من قريش خديجة (١) بنت
 خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي (٢) ، تزوجها وهو ابن خمس وعشرين
 سنة . وذلك قبل الوحي إليه بخمس عشرة سنة ، لأنه أوحى إليه وهو ابن
 أربعين سنة ، صلى الله عليه وسلم .

ولم يتزوج في الجاهلية غير خديجة (٢ ظ) وكانت قبله (٣) عند عتيق (٤)

== عن أبي عبيدة ، لا تسميان... وإذا كان وكذا الكتاب هو (التسمية) فلا بأس
 في أن تسقط غير المسماة... ثم إن أبا عبيدة يقصد هنا إلى من (أخذ) النبي
 من هؤلاء له زوجاً... ولا يفيد نص الرواية ، في المصادر المذكورة جميعاً ،
 هذا المعنى... وإذن لا يكون في عداد الأزواج وفي نص الكتاب إلا من
 مسمى أبو عبيدة... ولا تناقض... وانظر : صفة الصفوة ١/٧٧ ، السمط
 الثمين ١٣٩ ، وعيون الأثر ٢/٣١١ ، وزاد المعاد ١/٥٨ ، والبداية والنهاية ٥/٣٠٩ .
 بل إنه يستدل بقول هذه المصادر عن أبي عبيدة على صلته العميقة الواسعة بهذا
 الموضوع : سيرة النبي ، وأزواجه ، وإمائه... وأنه لم يكن يفيض بما لديه
 دون ضابط أو قاعدة ، بل يلتزم ، إلى حد كبير ، بغاية الكتاب ومنحاه !

(١) انظر في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة : سيرة ابن هشام
 ١/١٨٧ ، ٢/٦٤٣ والمحبر ٧٧ ، والاستيعاب ٤/١٨١٧ ، وتهذيب النووي ١/٢/١
 ٣٤١ ، والبداية والنهاية ٢/٢٩٣ ، وامتناع الأصماع ص ٩ ، ١٠ وفي ترجمتها انظر :
 الطبقات ٧/٨ وما بعدها ، وأسد الغابة ٥/٤٣٤ ، والسمط الثمين ١١ ، وجلاء
 الأفهام ١٥٤ والإصابة ٤/٢٧٣ .

(٢) انظر نسبها وهو مطابق لما هنا : في سيرة ابن هشام (بهامش الروض
 الأنف) ٢/١٢١ ، وجوامع السيرة ٣٤ .

(٣) هناك خلاف في أيهما كانت عنده أولاً : عتيق أم هند ؟ وانظر :
 أسد الغابة ٥/٤٣٤ ، ٤٣٥ . والإصابة ٤/٢٧٣ .

(٤) هكذا ضبط في الأصل . وهو كذلك في السيرة (لابن هشام)
 بتحقيق السقا ٧/٦٤٤ .

ابن عابد^(١) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ثم خلف عليها بعد عتيق هند بن
زرارة بن نباش بن حبيب بن صرد بن سلامة بن غوي بن جروة بن أسيد^(٢)
ابن عمرو^(٣) بن تميم ، وكنيته أبو هالة ، فولدت هند بن هند . قال يونس :
فرّ هند بالبصرة مجتازاً فأت بها فلم تُقم^(٤) سوقاً ولا كلاءً^(٥) ، قالوا : أخو
فاطمة .

ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد هند بن زرارة فولدت له

(١) هذا العلم مجرد ، في الأصل ، من الضبط والإعجام . وهو ، على ما أوردنا ،
في الطبقات الكبير لابن سعد ١٥٦/٨ ، أما في جهرة أنساب العرب لابن حزم
١٤١ — ٢٤٢ فهو عائد . وأوردته شتير في تحقيقها المحبر على الوجهين (انظر
المحبر ص ٧٨ ، ٤٥٢) . وقد فرق أبو ذر الحشني بينهما تفريقاً دقيقاً فقال :
كل ما كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد بالباء والداً المهمة ، وكل ما كان
من ولد عمران بن مخزوم فهو طائد . جوامع السيرة ٣١ حاشية ٥ . فالصواب
ما أثبت ، وانظر عيون الأثر ٥١ .

(٢) في توجيه الضبط على هذا النحو انظر : ذيل المذيل للطبري ٢٣٥٦/٣
وجهرة الأنساب ٢١٠ وجوامع السيرة ٣٢ .

(٣) في الأصل : عمر ، والتصويب من ذيل المذيل ٢٣٥٦/٣ ، وجهرة
الأنساب ٢١٠ .

(٤) آثرنا هذا الضبط ليستقيم نصب « سوقاً » الذي ورد في الأصل
المخطوط . وفي رواية الخبر نفسه عن أبي عبيدة في ذيل المذيل ورد الفعل على
صورة المضارع المجزوم من قام . . . على هذا النحو : فلم تقدم يومئذ سوق . .
وانظر ذيل المذيل ٢٣٥٦/٣ .

(٥) ورد في الأصل مقصوراً ، وقصر الممدود أمر من أمر هذه المخاطرة
كما قدمت ، وقد رجحت له البلد اعتماداً على الطبري وابن منظور . والتكلاء :
مرقاً السفن بالبصرة . وانظر : اللسان (كلاً) وذيل المذيل ٢٣٥٦/٣ .

في الجاهلية جميع بناته^(١) الأربع : زينب ، وهي أكبرهن ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ثم فاطمة وهي أصغرهن^(٢) .

والدليل على وقت تزويجه خديجة ، وعلى أنها ولدت له بناته هؤلاء في الجاهلية ، أنه زوج زينب أبا العاص بن الربيع من عبد شمس ، فلما أسلمت ولم يسلم منه النبي صلى الله عليه وسلم منها . ثم هاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسلم . ثم أسلم فتركها على فكاكهما . فلو كانت ولدت بعد الوحي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوجها كافراً ، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة بعد هذا الوقت الذي في صدر الكتاب ما بلغت ابنتها زينب ما بلغ النساء^(٣) ولا التزويج في الجاهلية . وكذلك أيضاً تزويجه رقية وأم كلثوم عتية وعتبة ابني^(٤) أبي لهب وهما مشركان . فلو كانتا ولدتا في الإسلام لم يكن ليزوج بناته وهن مسلمات للمشركين .

وكذلك أيضاً ولدت الذكور من (٣ و) أولاد^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية غير القاسم — وبه كان يكنى — فإنه ولد في الإسلام ، وعاش حتى مشى ، ثم مات . وولدت في الجاهلية عبد مناف والطيب وهو

(١) في ذكر بناته صلى الله عليه وسلم انظر : الطبقات ١١/٨ والمحرر ٥٢ ، ٥٣ . وانظر لو نأ من الخلاف في الترتيب الزمني لأعمارهن وترجيح ابن عبد البر ترتيب أبي عبيدة هذا ، دون أن يسميه في الاستيعاب ٥٠/١ .

(٢) انظر : الإصابة ٣٦٥/٤ .

(٣) في الأصل : ما بلغ النساء . والأقرب : مبلغ .

(٤) في الأصل : ابن ، وليس يصح .

(٥) انظر في أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة : السيرة لابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ١/١٩٠ ، ١٩١ .

عبد الله ، مات رضيما ، والطاهر^(١) . فذلك أربع بنات وأربعة^(٢) بنين^(٣) .

والدليل على ذلك أن عبد مناف لو كان ولد في الإسلام لم يسمه عبد مناف .
والدليل أيضاً على أن مولدهم في الجاهلية أن بناتها هؤلاء الأربع أحركن
الإسلام وهن مدركات فأسلمن ، وأن خديجة قالت : يا رسول الله^(٤) ! أطفالي
منك ، أين هم ؟ قال : في الجنة . قالت : يا نبي الله ، بغير عمل ؟ قال : قد علم الله
ما كانوا عاملين . فقالت : يا نبي الله ، أطفالي من المشركين : أين هم ؟ قال :
في النار^(٥) . قالت : يا نبي الله ، بغير عمل ؟ قال : قد علم الله ما كانوا عاملين ،
وإن شئت دعوت الله عز وجل فأراكم وأراك منازلهم وأسمعك أصواتهم أو نحو
هذا ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله .

فهذا الحديث يدل على أن الذكور غير القاسم ولدوا في الجاهلية ،
ولو كانوا ماتوا في الإسلام لم تكن لتسأل النبي صلى الله عليه وسلم : أين هم ؟
ولم تكن لتسأل عن بناتها هؤلاء وهن أحياء^(٦) .

(١) في المحتب (٥٣) أن عبد الله والطيب والطاهر ولد واحد . وانظر
الاستيعاب ١٨١٨/٤ وأسد الغابة ٤٣٦/٥ وتهذيب النووي ٢٦/١/١ .

(٢) في الأصل : أربع ، وهو خطأ بتين .

(٣) انظر في أولاد النبي صلى الله عليه وسلم المحبر ٧٩ والروض والسيرة
بهامشه ١٢٣/١ وتهذيب النووي ٢٦/١/١ .

(٤) في الأصل الخطي وصلت الياء بالراء وحذفت الألف من « يا » .

(٥) انظر مسند أحمد الحديث ١١٣١ (بشرح أحمد شاكر ،
الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة) .

(٦) في الأصل : أحياء .

ولم تلده في شبابه غير خديجة . ولم يتزوج في الجاهلية غيرها . وهي أول من أسلم من النساء^(١) .

ثم ماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بخمس^(٢) سنين . والدليل على ذلك قول عائشة : ما غرت على^(٣) امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم (٣ ظ) غيرتى على خديجة ، وقد ماتت قبل أن يتزوجني النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث^(٤) سنين . وكان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة قبل الهجرة بستين ، وهي بنت ست سنين ثم بنى بها بالمدينة بعد الهجرة بسنة ، وعائشة بنت تسع سنين . فهذا الحديث يدل على أن خديجة ماتت قبل الهجرة بخمس سنين .

(١) في الأصل : النساء .

(٢) روى هذا التاريخ لوفاة خديجة ، عن أبي عبيدة ، ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٨٢٥ ، ١٨٨٢ وابن الأثير في أسد الغابة ٥/ ٤٣٩ . وانظر في موتها البداية والنهاية ٣/ ١٢٧ .

(٣) كذا (غرت على) في الأصل .. والغيرة على ... تكون في معنى غير هذا ، تكون في غيرة الرجل على امرأته وغيره للمرأة على بعلها (اللسان : غير) أما في علاقة الغيرة وفي الذي يفهم من السياق فهي غيرة منها لا عليها ! ولكن لعل الحديث بهذا النص يشهد بجواز استعمال (غرت على) في مكان (غرت من) .

(٤) وهذه الرواية في صحيح البخاري ٢/ ٢١٦ من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . وقد أخذت بعد هشام طريقا ثلثا من الإسناد ، وفي متن الطرق الثلاث كلها تأتي العبارة على هذا النحو : ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ... ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ... ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة

فتزوج علي بن أبي طالب فاطمة فولدت له حسنا بعد وفاة أحد [بنتين] ^(١). وبين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة [ووقعة أحد] ^(١) سنتان وسبعة أشهر ونصف . فولده لأربع سنين وسبعة أشهر ونصف من التاريخ . وبين وقعة بدر ووقعة أحد سنة ونصف شهر . ثم ولدت فاطمة حسينا بعد مولد حسن بسنة وعشرة أشهر ، فولده لست سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ . ثم قتل يوم عاشوراء ^(٢) لعشر مضين من المحرم ، أول سنة إحدى وستين ، وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف سنة ونصف شهر . ثم ولدت ^(٣) أم كلثوم تزوجها عمر بن الخطاب في خلافته ، فولدت له زيدا فهلكا في ليلة واحدة ، فصلى عليهما سعيد بن العاص عامل معاوية على المدينة فجعل زيدا بينه وبين أم كلثوم . وقالوا : قال الحسين بن علي بن أبي طالب ، حين مات زيد وأم كلثوم ، لعبد الله بن عمر : تقدم فصل علي أمك ، وعلى أخيك ، فتقدم فصل علي عليهما .

وتزوج أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم عتيبة بن عبد العزى

(١) ما بين القوسين المعقفين زيادة قدرناها ليتسق التعبير ويستقيم ويصح ، وقد اعتمدت في تقدير هذه الزيادة على مقتضى السياق ومصادر التاريخ . فقد كانت الهجرة في ربيع الأول (الاستيعاب ٤١/١) وكانت غزوة أحد في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة (المغازي) ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ وانظر أيضا عيون الأثر ٢/٢ والبداية والنهاية ٩/٤ والمغازي ٣٦ وما بعدها .

(٢) في الأصل : عاشورا .

(٣) يعني فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم . وانظر في ترجيح قرينة السياق ، هنا ، بأنها فاطمة : الخبر ٥٣ وجوامع السيرة ٤٠ وأسد الغابة ٥/١١٤ وتهذيب النووي ١/٢/٣٥٣ والسمط الثمين ١٦٤ .

ابن عبد المطلب (٤ و) ، وبه كان يكنى وبأبي لهب . وتزوج أخوه عتبة
 ابن عبد العزى رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم . وأمّ عتبة وعتيبة أمّ جميل
 ابن حرب بن أمية . ولم يكن ابنتي بها . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
 فسألت رقية فُبيعت النبي صلى الله عليه وسلم أن تُطلق ، فسأل النبي صلى الله
 عليه وسلم زوجها أن يطلقها . فقالت أمّ جميل ، حمالة الحطب : طلقها
 يا بني ، فإنها قد صابت . فأنزل الله عز وجل : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ)^(١) .
 وقال [أبو]^(٢) لهب لابنيه : عتبة وعتيبة : وجهي من وجوهكم حرام إن لم
 تطلقا ابنتي محمد ، فطلقاها .

ثم جاء^(٣) عتبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كفرت بدينك
 وفارقت أو طلقت ابنتك ، لا تحبني ولا أحبك . وشق قيص النبي صلى الله
 عليه وسلم ، ثم توجه إلى الشام . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما أني أسأل الله
 أن يسلط عليك كلبه . فلما نزلوا بالزرقاء^(٤) من بعض بلاد الشام أطاف بهم
 الأسد ليلاً ، فقال عتيبة : يا ويل أني ! هو والله آكل كما دعا محمد علي !
 أقاتلي ابن أبي كبشة^(٥) ، وهو بمكة وأنا بالشام ؟ فعدا عليه الأسد فضغم رأسه

(١) سورة المسد ، الآية ١ .

(٢) سقطت من الأصل المخطوط كلمة (أبو) .

(٣) في الأصل : جا .

(٤) في الأصل : الزرقا .

(٥) ابن أبي كبشة كنية الرسول صلى الله عليه وسلم . انظر : إمتاع
 الأسماع ١ / ٧٧ ، ١٥٨ وانظر قصة نسبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي
 كبشة في المحبر ١٢٩ .

قدعه^(١) من بين القوم^(٢) .

وذكر عن هشام بن عروة^(٣) عن أبيه عروة بن الزبير أنه لما أطاف بهم الأسد انصرف عنهم ، فأناموا عتية في وسطهم وناموا حوله فتخطأهم الأسد حتى أخذ برأسه فضغمه ضغمة قدعه^(٤) .

ثم تزوج عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية برقية ، فماتت فدفنت

(١) كذا في الأصل . وفي رواية المحب الطبري من طريق قتادة : قدغنه (ذخائر العقبى ص ١٦٤) . وهي بالقاء والغين على هذا الوجه في اللسان (فدغ) ولدى التويرى في نهاية الأرب ٢١٥ / ١٨ .

وقدغنه أرجح في هذا السياق إذ القدغ شذو شيء أجوف مثل حبة عنب ونحوه كراسه إذ أخذ به فضغمه أما القدع فهو الكف والكبح أو هو ضرب الأنف أو هو القتل وعلى هذا المعنى الأخير قد تستقيم رواية (قدعه) .

وانظر في هذا كله اللسان : فدغ ، قدع .

(٢) هذا الحديث بنص مطابق أو مقارب رواه المحب الطبري عن طريق قتادة في ذخائر العقبى ص ١٦٤ .

(٣) أخرجه البيهقي عن عروة . انظر حجة الله على العالمين ليوسف النبهاني (طبعة بيروت ١٣١٦ هـ) ص ٥٩٣ .

(٤) في هامش الأصل المخطوط ، تلا (قدعه) بإشارة إحالة مستدركة مورقية () : قال رحمه الله : الذي أكله الأسد عتية ، وكان يكنى أبا واسع . وهو الصواب . وبعد هذا توقيع أظنه لأحد (المقادسة) من أساتذة المدرسة العمرية بسفح قاسيون . وقال الجاحظ : يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعنبيه بن أبي لهب : أكلك كلب الله . ثمار القلوب للثعالبي ص ١٩ . ويؤيد هذا القول بأن عتية هو الذي أكله الأسد أن كتب الطبقات والسيرة تحكي أن عتبة أسلم وأنه من الصحابة . وانظر القاسمي (محمد جمال الدين) في محاسن التأويل ص ٦٢٩٢ .

يوم جاء^(١) البشير بفتح بدر إلى المدينة (٤ ظ) وهم على قبرها يدفنونها .
وتفسير حديث موتها في موضع بعد هذا . ولم تلد له . ثم خلف عثمان على أختها
أم كلثوم فماتت عنده ولم تلد له .

وتزوج أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس زينب بنت النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يسلم ، فلما هاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم أسلم^(٢)
أبو العاص فتركهما النبي صلى الله عليه وسلم على فكاحهما . وولدت له أمانة
فتزوجها علي بن أبي طالب رضى الله عنه بعد موت فاطمة فلم تزل عنده حتى
قتل عنها^(٣) .

مضت خديجة

ثم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة^(٤) بسنة وذلك
قبل الهجرة بأربع سنين ، سودة^(٥) بنت زمعة بن قيس بن الأسود من بني عامر

(١) في الأصل : جا . وحديث دقها هذا بنصه ، دون إسناد ،
في الاستيعاب ١٨٤٠/٤ .

(٢) انظر شطراً من حديث إسلامه في رواية ابن هشام عن أبي عبيدة
في الروض الأتق ٨٣/٢ .

(٣) انظر جوامع السيرة ٣٩ والروض الأتق ٨٠/٢ .

(٤) روى هذا التاريخ لزواج النبي من سودة ، عن أبي عبيدة ،
ابن عبد البر في الاستيعاب ١٨٦٧/٤ وابن الأثير في أسد الغابة ٤٨٤/٥ ، ٤٨٥
والنووى في التهذيب ٣٤٨/٢/١ والمحجب الطبرى في السمط الثمين ١٠١ . وانظر
البداية والنهاية ١٣٣/٣ .

(٥) انظر في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من سودة السيرة لابن هشام
(بتحقيق السقا . .) ٦٤٤/٢ والطبقات ٣٥/٨ وما بعدها ، والمحجب ٧٩
والاستيعاب ١٨٦٧/٤ وأسد الغابة ٤٨٤/٥ والسمط الثمين ١٠١ وجلاء الأفهام
١٥٥ والبداية والنهاية ١٣٠/٣ والإصابة ٣٣١/٤ .

ابن لؤى ، ثم بنى بها بمكة . وكانت قبله عند السكران بن عمر وأخي سهيل
ابن عمرو^(١) من بنى عامر بن لؤى .

مضت سودة بنت زمعة

ثم تزوج على سودة بمكة عائشة^(٢) بنت أبي بكر عبد الله بن عثمان
ابن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة قبل الهجرة بسنتين^(٣) ،
وهي بنت ست سنين يومئذ . ولم يتزوج بكرا غيرها . ثم بنى بها بالمدينة
سنة إحدى وهي يومئذ بنت تسع سنين . ثم توفي عنها وهي بنت ثمانى
عشرة^(٤) سنة^(٥) .

(١) فى الأصل : سهيل بن عمر . وانظر فى التصويب الذى أثبت جوامع
السيرة ١٥٢ والدُرر ٦١ .

(٢) انظر فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة : سيرة ابن هشام
(بتحقيق السقا..) ٦٤٤/٢ والطبقات ٢٩/٨ وما بعدها والروض الأنف ٣٦٦/٢ .
وفى ترجمتها : أسد الغابة ٥٠١/٥ والسمط الثمين ٢٩ وجلاء الأفهام ١٥٦ — ١٥٨
والبداية والنهاية ١٣٠/٣ والإصابة ٣٤٨/٤

(٣) نقل هذا التاريخ لزواج النبى صلى الله عليه وسلم من عائشة ، عن
أبي عبيدة ، ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٨٨١/٤ وابن الأثير فى أسد الغابة
٥٠١/٥ والنووى فى التهذيب ٣٥١/٢/١ .

(٤) فى الأصل : ثمانية .. وهو خطأ .

(٥) فى عمر عائشة إذ تزوج بها النبى صلى الله عليه وسلم وحين دخل
بها ، وعندما توفي عنها . . . رواية مطابقة لما هنا أوردها ابن سعد (الطبقات
٤١/٨) من طريق أبي عبيدة ، وأخرى (الطبقات ٤٢/٨) من طريق
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . وأورد البخارى رواية مماثلة ، فى المضمون ،
عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة فى صحيحه ١٧٨/٣ .

فقلت عائشة : دخل عليّ وإن لي بنات ألعن بهن^(١) ، تعني اللعن .
وزعموا أن جبريل قال له : هذه امرأتك ، قبل أن يتزوجها ، فتزوجها^(٢) .
فهؤلاء ثلاث من قريش تزوجهن بمكة : خديجة في الجاهلية ، ثم سودة
بعدها في الإسلام ، ثم عائشة بعد سودة .

مضت عائشة

ثم تزوج بالمدينة ، قبل وقعة بدر في سنة اثنتين^(٣) من التاريخ
أم سلمة^(٤) واسمها هند (٥ و) بنت أبي أمية ، زاد الراكب ، بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(٥) . وكانت قبله عند أبي سلمة وهو عبد الله
ابن عبد الأسد بن هلال المخزومي .

وذكر^(٦) عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن ابن عمر بن أبي سلمة

(١) انظر هذه الرواية بطرق مختلفة عن عائشة في الطبقات ٨ / ٤٠ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٤ .

(٢) هذا جزء من رواية أوردها ابن سعد عن طريق عائشة في الطبقات
٨ / ٤٣ .

(٣) هذا التاريخ لزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم سلمة مروي عن
أبي عبيدة في ذيل المذيل للطبري ٢٤٤٣ .

(٤) في زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها انظر : سيرة ابن هشام
(بتحقيق السقا . . .) ٢ / ٦٤٤ ، ٦٤٥ والطبقات ٨ / ٦٠ وما بعدها والمخير
٨٣ الاستيعاب ٤ / ١٩٢٠ .

وأسد الغابة ٥ / ٥٦٠ والسمط الثمين ٨٦ وجلاء الأفهام ١٦٨ والإصابة
٤ / ٤٣٩ ، ٤٠٧ .

(٥) انظر في نسبها جوامع السيرة ٣٣ ، ٥٦ وإمتاع الأصماع ٣٨ .
(٦) هذا الحديث من مبدئه إلى منتهاه ، بالإسناد نفسه ، في الطبقات
٨ / ٦٢ ، ٦٣ وبالإسناد نفسه عن أبي سلمة في . سند أحمد (الطبعة الأولى) ٦ / ٣١٣ .

عن أبيه عن أمّ سلمة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أصابك أحدكم مصيبة فليقل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك احتسبت مصيبتى فأجرني فيها وأبدلني منها خيرا .

فلما احتضر أبو سلمة بن عبد الأسد قال : اللهم اخلفني في أهلي بخير مني . فلما قبض قلت . إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك احتسبت مصيبتى فأجرني فيها . وكنت إذا أردت أن أقول : اللهم أبدلني بها خيرا منها قلت : ومن خير من أبي سلمة ؟ قالت : فلم أزل حتى قلتها .

فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته ، ثم خطبها عمر فردته . ثم بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها ، فقالت : مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبرسوله . أقرى رسول الله السلام وأخبره أنني امرأة غيرة وأنني مُصِيبَةٌ ، وأنه ليس أحد من أوليائي شاهدا . فقال لها رسول الله (١) صلى الله عليه وسلم : أما قولك : إنك غيرة ، فإني سأدعو الله فيذهب غيرتك ، وأما قولك : إني مصيبة فإن الله سيكفيك صبيانك (٢)

(١) في الأصل : رسول الله رسول الله

(٢) في الأصل : صَبْيَانُكَ بضبطها على هيئة المصدر وهو وجه محتمل بالنظر إلى الدلالة اللغوية لقولها مصيبة هذا الوصف الذي يحتمل أنها تصبي كما يحتمل أنها ذات صيبة . بل إن نص الرواية عندما يرد على مثل هذا الوجه في السياق الكلّي ويكون جواب النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله سيكفيك صبيانك يظلّ ملبسا يحتمل الوجهين : أن يكفيها مؤنة الصيبة وأن يكفيها صبيانها . . . لكن نص الرواية من وجوه أخرى يرجح ما أثبتنا إذ يكون جواب النبي صلى الله عليه وسلم على أنها مصيبة : العيال . . أو هم إلى الله ورسوله ولعلّ ما يؤيد ما نذهب إليه هذا الذي تتواتر به الروايات : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتها وهي ترضع ابنتها زينب فإذا جاءها أخذت طفلتها في حجرها ترضعها ، أقول : ربما ظلّ في نفسها ما ردت به عليه أول الأمر . . . أنها ذات صيبة يشغلونها عن أن تقوم بحق الزوج .

وأما أولياؤك فإنه ليس أحد منهم شاهد ولا غائب^(١) إلا صيرضى بى .
فقلت : قم يا عمر فزوج رسول الله فزوجها . فقال رسول الله ﷺ :
أما إني لا أتصمك مما أعطيت أختك فلاة شيئا^(٢) (• ظ) جرتين
ورحيتين^(٣) ووسادة من آدم حشوها ليف .

وكان رسول الله ﷺ يأتها وهي ترضع ابنة أبي سلمة ، وكانت إذا جاء^(٤)
رسول الله ﷺ أخذتها ووضعتها في حجرها ترضعها ، وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيتا كريما . ففطن لها عمار بن ياسر ، وكان أخاها من الرضاعة ،
قال : فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتها ذات يوم ، فجاء عمار
فنشط^(٥) زينب من حجرها ، وقال : دعى هذه المقبوحة المشقوقة التي قد
آذيت بها رسول الله .

= وانظر مسند أحمد (الطبعة الأولى) ٦ / ٣٢٠ ، ٣٢١ .

(١) في الأصل : غائب .

(٢) في الأصل : شيئا .

(٣) في الأصل : رحاتين . وهي ، على ما أثبت ، في الطبقات ٨ / ٦٣
ومسند أحمد (الطبعة الأولى) ٦ / ٣١٤ . والمشهور الشائع في معاجم اللغة :
رحى وتثنيها رحيان ورحوان ، وليس فيها رحاة . وانظر : أساس البلاغة
(رحي) واللسان والتاج في هذه المادة . ولعل هذه التثنية على « رحاتين »
القائمة على أن الأصل : رحاة ، هي من مذهب أبي عبيدة في تجويز دخول تاء
التأنيث على ألف التأنيث المقصورة خلافا للتحويين .

وانظر مجالس العلماء للزجاجي ٥١ .

(٤) في الأصل : جا .

(٥) في الطبقات ، في الموطن السالف : « فانتشطها من حجرها » . . .
وفي اللسان (نشط) : « فنشط زينب من حجرها ، وروى فانتشط » .

فدخل صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقلب بصره في البيت ويقول : أين زُناب ؟ ما لي لا أرى زُناب ؟ ١٤ أين زُناب ؟ قالت : جاء عمار فذهب بها . فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهله ، وقال لها إن شئت أن أسبع لك ، يعني كما سبعت للنساء^(١) .

مضت أم سلمة .

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بالمدينة في اثنتين^(٢) من التاريخ ، في عقب بدر ، بعدما رجع إلى المدينة ، حفصة^(٣) بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خُفَيْس بن حذافة بن الغيداق السهمي^(٤) .

(١) نص الحديث بهذا الإسناد في الطبقات (٦٢ / ٨) : إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء . وفي مسند أحمد ٢٩٥ / ٦ بالإسناد نفسه : إن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت لنسائي . وفي الاستيعاب ١٩٢١ / ٤ وفي أسد الغابة ٥ / ٥٦٠ : إن شئت سبعت عندك وسبعت لنسائي وإن شئت ثلثت ودرت فقالت : ثلثت .

(٢) نقل هذا التاريخ لزواج النبي صلى الله عليه وسلم من حفصة ، عن أبي عبيدة ، ابن عبد البر في الاستيعاب ١٨١١ / ٤ وابن الأثير في أسد الغابة ٤٢٥ / ٥ والنووي في التهذيب ١ / ٢ / ٣٣٨ والمحجب الطبري في السمط الثمين ٨٤ وابن حجر في الإصابة ٢٦٥ / ٤ .

(٣) في زواج النبي منها انظر : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ٦٤٥ / ٢ والطبقات ٥٦ / ٨ وما بعدها والمحرر ٨٣ ومسند أحمد (الطبعة الأولى) ٢٩٥ / ٦ والاستيعاب ١٨٨١ / ٤ والروض الأتق ٣٦٧ / ٢ وأسد الغابة ٥ / ٤٢٥ والسمط الثمين ٨٣ وجلاء الأفهام ١٥٨ وإمتاع الأسماع ١١٣ والإصابة ٢٦٤ / ٤ .

(٤) انظر أبو عبيدة بذكر الغيداق في نسب خنيس بن حذافة . وانظر هذه المصادر والمواطن التي يعرض أتماءها نسب خنيس وذكره فيها : سيرة ابن هشام ١ / ٢٥٦ ، ٣٢٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٤٢٦ والطبقات ٨ / ٥٦ =

والدليل على وقت تزويجه إتيانها أنه تزوجها بعد وفاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان، وكان النبي صلى الله عليه وسلم خلف عثمان بالمدينة، حين غزا بدرًا ليمرض رقية، فلذلك قسم له قسمة من شهد بدرًا، ولم يقسم لأحد لم يشهد بدرًا غيره، فماتت فدفنت يوم أتى أهل المدينة البشير بفتح الله على رسوله ببدر وهم على قبرها (٦ و). فلما قدموا المدينة رأى عمر عثمان مغماً فسأله عن غمه فشكا إليه اغتنامه لاقطاع الصهر بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم. فقال له عمر: ألا أزواجك ابنتي؟ فلم يجبه، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ذلك. (إذ ظن عمر أن تزويجه ابنته ومصاهرته إياه يذهب عنه غم ما دخل عليه من وفاة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقطاع صهر ما بينه وبين النبي عليه السلام) فقال له النبي عليه السلام: بل يزواجك الله خيراً من ابنة عمر وتزوج ابنة عمر خيراً منك^(١). فزوجه النبي

= والاستيعاب ٤ / ١٨٨١ والمحبر ٥٤، ٨٣ وصحيح البخاري ٣ / ١٧٦ وجوامع السيرة ٣٣، ٤٨، ٦٢، ٦٦، ٨٨، ١٢١ والدرر ٤١، ٥٣، ٦١، ٨٣، ١٠٠، ١٢٤ وأسد الغابة ٥ / ٢٥٥ والبداية والنهاية ٥ / ٢٩٤.

فليس في تفصيل نسب خنيس فيها ذكر الغيداق... والغيداق في الأصل مهمة الغين والياء وقد ترجح لنا هذا الوجه من الاعجام لأن صورة الكتابه لا تحتل غيره بالنظر إلى أسماء الأعلام عند العرب فصورة الكتابة نحتمل العبداق والعبداق والغبداق والغبداق... ولا يرد في كتب الأنساب من هذه الصور المحتملة الكثيرة غير الغيداق فهايك بأن اشتقاقه من الغدق هيأ له سعة في الاستعمال في لغة العرب فالغيداق : اسم، والشاب الغيداق الناعم والغيداق الكريم الجواد الواسع الخلق الكثير العطية... الخ مما يرجح أن العرب تسمى به وترغب في إطلاقه على أبنائها (وانظر اللسان غدق).

(١) هكذا جاء النص من: فقال له عمر: ألا أزواجك ابنتي؟... حتى قول النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج ابنة عمر خيراً منك. ولعل النص لو اتخذ =

صلى الله عليه وسلم أمّ كلثوم بنت محمد ، وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة . فهذا دليل .

وزعم بعضهم أن عثمان خطب إلى عمر فردّه فشكا ذلك إلى النبي عليه السلام ، فقال له النبي عليه السلام تلك المقالة .

مضت حفصة .

فهؤلاء خمس من قريش تزوجهن بمكة وبالمدينة .

ثم تزوج صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث (١) من التاريخ من حلفاء (٢) قريش

== هذه الصورة التالية كان أكثر انسجاماً . « فقال له عمر : ألا أزوّجك ابنتي ؟ إذ ظن عمر أن تزويجه ابنته ومصاهرته إياه يذهب عنه غمّ ما دخل عليه من وفاة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع صهر ما بينه وبين النبي عليه السلام . فلم يجبه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ذلك ، فقال له النبي عليه السلام : بل يزوّجك الله خيراً من ابنة عمر ، وتزوّج ابنة عمر خيراً منك » . لكنني التزمت بإيراد النص على أصل وروده في المخطوطة حفاظاً على أمانة النشر . هذا وفي النص على أصل وروده دلالة على طريقة أبي عبيدة ومجالسه ؛ فهو في إملاله الشفوي تتداخل المعاني لديه وتتسابق فليست تتسنى له المنطقية التنسيقية الدقيقة عند التعبير شأن من يعد دروسه مكتوبة . وقد وضعت الفقرة التي أحس أن مكانها الصحيح غير مكانها في المخطوطة كما أثبت بين قوسين لتدل على الفكرة أو الحاطر الذي استدرك به أبو عبيدة على ما تقدم من حديثه شأن الأستاذ المشافه فقلت منه الحاطر في مكانه فيورده مستدركاً في أقرب مكان يتيسر . وهذا أمر يألّفه من اعتاد المدارس المشافهة .

(١) قل قول أبي عبيدة هذا ، في تاريخ زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ، ابن عبد البر في الاستيعاب ٤ / ١٨٤٩ وابن الأثير في أسد الغابة ٥ / ٤٦٣ والنووي في التهذيب ١ / ٢ / ٣٤٥ وابن كثير في البداية والنهاية ٤ / ١٤٥ .
(٢) في الأصل : حلفاء .

زينب^(١) بنت جحش بن رئاب^(٢) بن يَعمَر من بني غنم بن دودان بن أسد ابن خزيمة ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم .

وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن مروة^(٣) مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت حين خطبها النبي عليه السلام^(٤) على زيد مولاه أبت . فأنزل الله

(١) في زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ، انظر : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا ٠٠٠) ٦٤٤/٢ والطبقات ٧١/٨ وما بعدها والمحبر ٨٥ والروض الأتق ٣٦٧/٢ والاستيعاب ١٨٤٩/٤ وأسد الغابة ٤٦٣/٥ وتهذيب النووي ٣٤٥ ، ٢/١ والسمط الثمين ١٠٥ وجلاء الأفهام ١٧٠ والبداية والنهاية ١٤٥/٤ والإصابة ٣٠٨ ، ٣٠٧/٤ .

(٢) بتحقيق الحمزة في رئاب ، وقد اصطفينا هذا الوجه انسجاماً مع النهج الذي حكنا من تحقيق الحمزة . وهي كذلك في السيرة لابن هشام ٢٥٧/١ أما في جمهرة الأنساب ١٩٠ ، ١٩١ فهي رياب ، بالتسهيل . وهذا الاختلاف بين تحقيق حمزتها وتسهيلها هو شأن كتب الطبقات والسيرة والتاريخ .

(٣) في الأصل : مروة وليس في المصادر التي عرضت لنسبه . وانظر نسبه ، على سبيل التمثيل في المحبر ٧٠ ، ٧١ ، ٨٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ٢٨٧ ، ٤٤٦ ، ٤٦٢ ، ٤٩٠ وجوامع السيرة ١١٤ . وانظر خبر زيد وتبني الرسول له في الروض الأتق ١ / ١٦٤ .

(٤) في الأصل زيادة « و » قبل النبي . . . وفي الهامش : رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد « خطبها » إشارة إحالة (-) إلى الحاشية المشار إليها في الهامش . . . ولو قد أوردنا النص على الأصل ملفقاً من المتن والحاشية لكان : « وكانت حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام على زيد مولاه أبت » ولسنا نرى ذلك مستقيماً في المعنى . فالأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم خطبها على زيد (الطبقات ٧١/٨) . . . ولا أجد لتوجيه النص على صورته الملفقة من الأصل والحاشية تأويلاً معقولاً . وتقديرى أن الذي طرأ على النص

عز وجل : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة (٦ ظ) من أمرهم) (١) حتى تنتهي إلى آخر الآية . فقالت : يا رسول الله ! أمرى إليك فاصنع ما أحببت . فأنكحها زيدا .

فكان زيد لا يزال يشكوها إلى النبي عليه السلام لشيء يكون بينهما وقد كانت نفس النبي عليه السلام تتبعها ، وكان يخفى ذلك ، فإذا شكها يقول له النبي : اتق الله وأمسك عليك زوجك . فطلقها زيد .

فلما اتقضت عدتها أتاه جبريل بأن الله عز وجل قد زوجة إياها . وكانت تفخر بذلك على سائر (٢) أزواج النبي عليه السلام . فأنزل الله عز وجل في تتبع نفسه إياها : (وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) (٣) فقالت عائشة : لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من الوحي كنتم هذه الآية . قال : (فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها) إلى آخر الآية . فقالت يهود : تزوج محمد (٤) امرأة ابنه ، وكان يدعى زيد بن محمد فأنزل الله عز وجل (وما جعل أديعاءكم أبناءكم) (٥) إلى قوله : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) (٥) . فكان بعد هذه الآية يقال : زيد مولى رسول الله عليه السلام .

بزيادة « رسول الله صلى الله عليه وسلم » إقحام خارجي لعله من صنع الناسخ أو أحد من ملك النسخة أو قرأها تبركاً ، ويرجح هذا أن الخط مختلف في الخبر والنوع بين المتن والحاشية و « الواو » قبل النبي — لاشك — من زيادة الناسخ .

(١) الأحزاب ، الآية ٣٦ .

(٢) في الأصل : سائر . (٣) الأحزاب ، الآية ٣٧ .

(٤) في الأصل : محمداً (بالنصب) وهو خطأ . . . امرأة . . .

(٥) الأحزاب : الآيتان ٤ ، ٥ .

مضت زينب .

ثم تزوج في سنة خمس (١) من التاريخ من سائر العرب جويرة (٢) بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية ، هم (٣) من بني عمرو بن خزاعة . وكان سبها يوم المريسيع ، وكانت عند صفوان بن ذى الشفر الخزاعي (٤) ، وهو الذي يقول يوم المريسيع وهو يقاتل (٧ و١) :

أنا ابن ذى الشفر وحدي مبدول
رحى ذو الطول وسيفي مسلول
قد علمت نفسي بأنى مقتول (٥)

(١) نقل ابن عبد البر هذا التاريخ لزواج النبي صلى الله عليه وسلم من جويرة عن أبي عبيدة في الاستيعاب ٤/ ١٨٠٥ .

(٢) في الأصل : جويرة بنت الحارث . المشهور ما أوردنا . وانظر : الطبقات ٨ / ٨٣ وجمهرة الأنساب ٢٣٩ . وانظر في زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ٢ / ٦٤٥ ، ٦٤٦ والطبقات ٨ / ٨٣ وما بعدها والمخبر ٨٩ والاستيعاب ٤ / ١٨٠٤ والروض الأنف ٢ / ٢١٩ ، ٣٦٧ وأسد الغابة ٥ / ٤١٩ وتهذيب النووي ١ / ٢ ، ٣٣٦ والسمط الثمين ١١٦ وجلاء الأفهام ١٧١ وإمتاع الأسماع ١١٩ .

(٣) انظر ابن دريد في الاشتقاق ٤٧٧ وهيئة الكتابة في الأصل تشبه ثم ، لكنني قدرتها على هذا الوجه بالنظر إلى طريقة الكاتب في رسم الماء وبالالتفات إلى طريقة أبي عبيدة الشفوية في الإملاء ! وانظر جمهرة الأنساب ٢٣٩ .

(٤) يؤيد توجيه الضبط على هذا الشكل : الطبقات ٨ / ٨٣ ، وذييل المذيل ١ / ١٧٧٢ ، ٣ / ٢٤٥٠ .

(٥) كذا في الأصل المخطوط ، ولم أجد هذه الأشرطة في المصادر التي

بين يدي .

فقتل يومئذ ، فوقعت جويرية في سهم ثابت (١) فجاءت (٢) إلى عائشة
لنكلم لها رسول الله عليه السلام يعينها (٣) في فداها . وكانت حلوة حُسنًا (٤)
عتيقة . فكلّمته فقال لها : ألا خير من ذلك ؟ أعتقك وأنزوجك وأجعل
مصدقتك عتقك . فقالت : بلى . فلما رأى ذلك المسلمون أعتقوا ما في أيديهم
من سبايا بنى المصطلق ، وقالوا : أصهار رسول الله .

مضت جويرية :

ثم تزوّج في سنة ست (٥) من التاريخ من قريش أمّ حبيبة (٦) بنت أبي

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري . للطبقات ٨/ ٨٣ .

(٢) في الأصل : فجأت .

(٣) في هامش هذه الصفحة من الأصل : يعنها ، ومن فوق حرف يمحتمل
أن يكون (ج) على أن يكون علامة تصويب . . . والذهاب إلى فهم هذا الحرف
(ج) على أن المقصود به (الجزم) وكذلك الذهاب إلى أنه إشارة تصويب لحالة
الجزم (يعنها) . . . وجه مرجوح .

(٤) وهي تفوق الحسنة في الاتصاف بالحسن (اللسان : حسن) قال الشهاخ :

دار الفتاة التي كنا نقول لها يا ظبية عطلا حسنة الجيد

وانظر إصلاح للنطق تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ص ١٠٨

(طبعة دار المعارف) .

(٥) نقل هذا التاريخ لزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة ، عن

أبي عبيدة ، ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٨٤٥ والنووي في التهذيب ١/ ٢/ ٣٥٩

وابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ١٤٤ . ونقله ابن سيد الناس في عيون الأثر

٢/ ٣٠٦ ، ٣٠٧ ورده قائلا : وليس بشيء .

(٦) في زواج النبي منها انظر : الطبقات ٨/ ٦٨ وما بعدها والمحرر ٨٨

والاستيعاب ٤/ ١٨٤٣ والروض الأتق ٢/ ٣٦٧ وأسد الغابة ٥/ ٤٥٧ والسمط

التمين ٩٦ وجلاء الأنفام ١٠٩ والبداية والنهاية ٤/ ١٤٣ والإصابة ٤/ ٢٩٨

وإمتاع الأسماع ٣٠٩ .

صفیان بن حرب بن أمّیة . وكانت قبله عند عبید الله^(١) بن جحش بن رثاب ابن یعمر من بنی عمرو بن غنم بن دودان بن أسد بن خزیمة ، وكان هاجر بها إلى أرض الحبشة مع من هاجر إليها ، ثم تنصّر بالحبشة ، وأبت أمّ حبیبة أن تنصّر فمات عنها نصرانیا . وأتمّ الله عز وجلّ لأمّ حبیبة الإسلام والهجرة ، حتى قدمت للمدينة فخطبها النبیّ علیه السلام ، زوجها إیّاه عثمان بن عفّان . وزعم بعضهم أنّ النبیّ علیه السلام كتب إلى النجاشی فزوجها إیّاه ، فساق عنه أربعین أوقیة ؛ فقدمت علیه للمدينة قبل فتح خیبر قدم بها علیه عمرو^(٢) ابن أمّیة الضمری فبني بها قبل قدوم جعفر وأصحابه لأنّ (٧ ظ) جفرا كان آخر من قدم من الحبشة فقدم علیه وهو بخیبر حين فرغ من فتحها . وفتح خیبر فی سنة سبع وغزا النبیّ علیه السلام خیبر ، وأمّ حبیبة عنده .

مضت أمّ حبیبة .

ونزوّج النبیّ علیه السلام من بنی اسرائیل فی سنة سبع أيضاً صفیة^(٣) بنت حُئیّ بن أخطب من بنی النضیر من بنی هارون ، فكانت مما أفاء الله علی

(١) عبید الله بالتصغیر فی الأصل . . . وكذا فی سيرة ابن هشام (بتحقیق السقا ٠٠٠) ٦٤٥/٢ والطبقات ٦٨/٨ والمحرر ٨٨ والإصابة ٢٩٨/٤ . وفي إمتاع الأسماع ٣٠٩ : عبد الله .

(٢) فی الأصل : عمر . والتصویب من المحرر ٨٨ وجمهرة الأنساب ١٨٥ والبدایة والنهاية ٤ / ١٤٣ وإمتاع الأسماع ٣٢٥ .

(٣) انظر فی زواج النبی صلی الله علیه وسلم من صفیة : سيرة ابن هشام (بتحقیق السقا . . .) ٦٤٦/٢ والطبقات ٨٥/٨ وما بعدها ، والمحرر ٩٠ والاستیعاب ٤ / ١٨٢١ ، والروض الآتق ٢ / ٢٤٠ ، ٣٦٢ وأسد الغابة ٥ / ٤٩٠ والسمط الثمین ١١٨ ، وجلاء الأفهام ١٧١ ، والبدایة والنهاية ٤ / ١٩٦ والإصابة ٤ / ٣٣٧ وإمتاع الأسماع ٣٢١ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .

رسوله يوم خيبر . وكان فتح خيبر في رمضان سنة سبع فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها^(١) . وكانت قبله عند سلام بن مشكم^(٢) ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق ، فقتله النبي عليه السلام يوم خيبر^(٣) .

ثم لما فرغ النبي عليه السلام من خيبر وتوجه معتمراً سنة سبع قدم جعفر فخطب عليه ميمونة^(٤) بنت الحارث الهلالية . فأذنت وجعلت أمرها إلى العباس فأنكحها إياه والنبي عليه السلام مُحْرِم . فلما أراد الرجعة أمر

(١) أخرج رواية مهر صفية عن أنس البخاري في صحيحه ٣ / ٣٥ ، ١٧٢ ، ١٨٢ .

(٢) انظر في تحقيق اسمه على ما أثبت : الطبقات ٨ / ٦٨ والمحرر ٩٠ والاستيعاب ٤ / ١٨٧١ فان كاف مشكم وردت في الأصل على هيئة اللام وهذا منهج الكاتب في رسمها ! وانظر في ضبط مشكم : الطبقات ١ / ٢ / ١٨٣ ، وتاريخ الطبري ١ / ١٣٦٥ ، ١٤٤٩ ، ١٥٨٣ ، ١٧٣٣ — ٢٤٥٢ / ٣ .

(٣) روى ابن عبد البر معظم خبر صفية وزواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ، عن أبي عبيدة ، في الاستيعاب ٤ / ١٨٧١ . ونقل النووي في ترجمته لصفية عن أبي عبيدة أنها ماتت سنة خمسين . وانظر تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢ / ٣٤٩ ، وتاريخ وفاتها هذا زيادة ليست في متن المخطوطة . والذي يبدو لي أنها سقطت من النسخ فان اضطراباً وتداخلاً واضحين يعتريان حديث صفية وميمونة إذ يتداخلان ويختتمها أبو عبيدة بجملته التقليدية : مضت ، ولكنه يقول ويرغم انتهائه من حديث صفية وميمونة معا : مضت صفية !

(٤) في زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها انظر : سيرة ابن هشام (بتحقيق السقا . . .) ٢ / ٣٧٢ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ والطبقات ٨ / ٦٤ والاستيعاب ٤ / ١٩١٤ والروض الأتق ٢ / ٢٥٥ ، ٣٦٧ وأسد الغابة ٥ / ٥٥٠ والسمط الثمين ١١٣ وجلاء الأفهام ١٧٢ والإصابة ٤ / ٣٩٧ وإمتاع الأسماع ٣٣٩ ، ٣٤١ .

أبارافع^(١) فحملها إليه ، فبنى بها بسرف^(٢) . ثم ارتحل سائراً إلى المدينة .
ثم توفيت بعد وفاة النبي عليه السلام بسرف ، وكانت قبله عند أبي رهم بن
عبد العزى من بنى عامر بن لؤى أو عند سخيرة^(٣) بن أبي رهم^(٤) فلقبت^(٥)
من سفهاء^(٦) أهل مكة أذى يوم حُملت .

(١) هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم وانظر المحبر ٩٢ ، ١٢٨ ، ٤٠٦٦ .
(٢) ضبطه أن يكون بالسين المهملة مفتوحة والراء المهملة مكسورة . وهو
موضع على ستة أميال من مكة وقيل سبعة وتسعة واثني عشر وانظر معجم
البلدان : سرف في ٢١٢/٣ (نشر صادر) . وفي الطبقات ٩٤/٨ أنه على عشرة
أميال من مكة .

(٣) هذا الاسم في الأصل مخروم الأول ، والصورة المكتوبة المتبقية أقرب
إلى ما أثبتنا . وهو سخيرة أيضا في أسد الغابة ٥ / ٥٥٠ وتهذيب النووي
٣٥٦٦ ، ٢/١ والإصابة ٣٩٨/٤ . أما في جهرة الأنساب ١٦٩ فهو سيرة . . .
وهو كذلك سيرة في الاستيعاب ١٩١٦/٤ نقلا عن أبي عبيدة .

(٤) في ترجمة ابن عبد البر لميمونة بنت الحارث المذلية قطعة رواها عن
أبي عبيدة وهي مطابقة أو مقاربة نصا لما نجده من خبر تزويج النبي صلى الله عليه
وسلم ميمونة في المخطوطة التي بين أيدينا . ونحن نرى في هذه القطعة توثيقا
لنسبة الكتاب إلى أبي عبيدة وصورة قوية من حياة هذا الكتاب في تأليف
من أعتبوا أبا عبيدة تنضاف إلى مرويات متناثرة عن أبي عبيدة في أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم ترجح أنها من هذا الكتاب إذ هي مطابقة لمضمونه
بل نصه . وقد أثبتنا شطراً غير قليل من هذه الروايات .

وانظر هذه القطعة التي أسلفنا إليها الإلاح في الاستيعاب ١٩١٦ / ٤ . وقد
روى شطراً منها عن ابن عبد البر بالإسناد إلى أبي عبيدة الحب الطبرى
في السمط الثمين ١١٤ .

(٥) انظر فيما لقيت : المحبر ٩٢ وإمتاع الأسماع ٣٤١ .

(٦) في الأصل : سفها .

مضت صفية .

ثم تزوج النبي عليه السلام فاطمة بنت شريح^(١)، وكانت وهبت نفسها للنبي عليه السلام ، وأنزل الله عز وجل : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين^(٢)) .

مضت فاطمة .

ثم تزوج زينب بنت خزيمة^(٣) ، وهي أمّ المساكين ، وهي إحدى نساء^(٤) بني عامر بن صعصعة . وكانت قبله عند طفيل بن عباد بن الحارث ابن المطلب . فلم تلبث عند^(٥) النبي عليه السلام إلا يسيراً حتى ماتت عنده . وبعث أبا أسيد بن عدي بن مالك الأنصاري من بني ساعدة يخطب

(١) نقل القول بزواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ، عن أبي عبيدة ، ابن الأمين وابن بشكوال وابن سيد الناس وابن حجر ، وانظر عيون الأثر ٣١٠/٢ والإصابة ٣٧٠/٤ ، وانظر فيمن نقل عن أبي عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بها : البداية والنهاية ٢٩٩/٥ .

وجدير بالالتفات أن ابن حجر في الوطن المشار إليه (الإصابة ٣٧٠ / ٤) يجتزئ بنقل القول بزواج النبي صلى الله عليه وسلم منها مما نقل ابن بشكوال عن أبي عبيدة ، لا يزيد على ذلك شيئاً في كل ما ترجم لها .
(٢) الأحزاب ، من الآية ٥٠ .

(٣) في زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها انظر : الطبقات ٨٢ / ٨ والمحبر ٨٣ والاستيعاب ١٨٥٣/٤ والروض الأتق ٣٦٨/٢ وأسد الغابة ٤٦٦/٥ والسط الثمين ١١٢ وجلاء الأفهام ١٧٠ ، ١٧١ وإمتاع الأسماع ١١٣ ، ١٩٤ .
(٤) في الأصل : نسا .

(٥) هذا التعبير إلى غاية بنصه عند ابن عبد البر دون إسناد . الاستيعاب

١٨٥٣ / ٤ .

عليه عند بنت يزيد من القرطاء^(١) من بني أبي بكر بن كلاب . زوجها النبي عليه السلام فقدم بها عليه فلما ابتنى بها النبي عليه السلام ، ولم يكن رآها رأى بها بياضاً^(٢) فطلقها ووردها إلى أهلها وأعطاهم الصداق . وزعم بعضهم أنها هذه الكلاية^(٣) .

مضت زينب^(٤) .

وتزوج رسول الله عليه السلام من أهل اليمن أسماء^(٥) بنت النعمان من بني الجون من كندة ، فلما أدخلت عليه دعاها إليه ، فقالت : تعال أنت ، وأبت أن تجيء ، فطلقها^(٦) .

(١) في الهامش : الفرطى (بالآلف المقصورة) مع علامة تصويب . وفي الطبقات ١٩٤١/٢ : القرطاء . وفي الاستيعاب ١٩٢٣/٤ وأسد الغابة ٥٦٤/٥ والإصابة ٤١١/٤ وعيون الأثر ٣١١/٢ نقلاً عن أبي عبيدة : البرصاء . واجتزأت هذه المصادر في ذكرها بنقل (زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها) عن أبي عبيدة .

(٢) في الطبقات ١٠٢/٨ والمخبر ٩٦ أن التي طلقها أبيضها عمرة بنت يزيد ابن عبيد بن رواح بن كلاب (من بني عامر) . . بعث أبا أسيد الساعدي بخطبها عليه .

(٣) انظر الروايات المتغايرة الكثيرة حول الكلاية في الطبقات ١٠٠/٨ — ١٠٢ .

(٤) واضح أنه بهذه الجملة التقليدية قد اندغم خبر هند بخبر زينب دون أن يستقل كل منهما بجملة الإنهاء !

(٥) في الاصل : اسمها . وانظر خبرها في الطبقات ١٠٢/٨ وما بعدها .

(٦) هذا القول في قصة فراق النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء مروي عن أبي عبيدة في ذيل المذيّل للطبري ٢٤٥٩ وأورده ابن عبد البر عن أبي عبيدة في الاستيعاب ١٧٨٥/٤ ، ١٧٨٦ والمحج الطبري في السمط الثمين ١٢٦ .

وقال آخرون^(١) : بل كانت أجمل النساء^(٢) فخافت لساؤه أن تغلبهن عليه ، فقلن لها : إنه يجب إذا دنا منك أن تقولى : إني أعوذ بالله منك . فلما دنا منها قالت له^(٣) ، فقال ، قد عنت بمعاذ ، وإن عائد الله عز وجل أهل (أن)^(٤) يجار وقد أعاذك الله منى فطلقها ، وأمر الساقط بن عمرو الأنصارى فجهزها ثم مَرَّحها إلى قومها . فكانت تسمى نفسها الشقية^(٥) .

وقال آخرون : بل رأى بها ما رأى بالعامرية^(٦) ففعل بها ما فعل بتلك^(٧) (٨ ظ) .

وزعم آخرون أن التى^(٨) عافت بالله من سبي بنى العنبر بن عمرو يوم

-
- (١) الرواية بهذا الإسناد إلى « آخرين » فى الاستيعاب ١٢٨٦/٤ .
- (٢) فى الأصل : النساء .
- (٣) فى التى استعادت من رسول الله صلى الله عليه وسلم روايات متكاثرة فمن قائل : إنها أسماء بنت النعمان (الطبقات ١٠٣/٨ ، ١٥٨) ، ومن قائل إنها مليكة بنت كعب الليثى (الطبقات ١٠٦/٨) ومن قائل إنها فاطمة بنت الضحاك (الطبقات ١٠١/٨) ومن قائل إنها الجونية الكندية وليست بأسماء بنت النعمان (المحبر ٩٥) وقد اتفَعَ المحب الطبرى بما أورد أبو عبيدة هنا ونقل بالإسناد إليه أن أسماء بنت النعمان هى المستعينة . السمط الثمين ١٢٦ .
- (٤) سقطت « أن » فى الأصل ، وصورة التعبير تقتضها .
- (٥) هناك خلاف وروايات متغايرة فيمن كانت تلقب بالشقية . وانظر : الطبقات ١٥٨/٨ حيث أطلقت هذا اللقب على نفسها فاطمة بنت الضحاك ابن سفيان . وفى الطبقات ١٩١/٨ أنها الكلاية .
- (٦) يقصد بالعامرية هند بنت يزيد . . . من أبى بكر بن كلاب . انظر الطبقات ١٠٢/٨ .
- (٧) أورد هذه الرواية ، عن أبى عبيدة ، المحب الطبرى فى السمط الثمين ١٢٦ .
- (٨) فى الأصل : الذى . . .

ذات الشقوق ، وكانت جميلة فأراد النبي عليه السلام أن يتخذها فلما قالت ما قالت أعتقها (١) .

مضت .

ثم تزوج رسول الله عليه السلام حين قدم وفد كندة عليه قتيلة (٢) بنت قيس أخت الأشعث بن قيس في سنة عشر . ثم اشتكى في النصف من صفر . ثم قبض عليه السلام يوم الاثنين ليومين مضيا من شهر ربيع الأول ، ولم تكن قدمت عليه ولا دخل بها .

ووقت بعضهم تزويجه إياها ، فزعم أنه تزوجها قبل وفاته عليه السلام بشهرين ، وزعم آخرون أنه تزوجها في مرضه . وزعم بعضهم أنه أوصى بقتيلة أن تخير إن شئت أن تضرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين ، ويجرى عليها ما يجري على أمهات المؤمنين ، وإن شئت فلتكسح من شئت . فاختارت الكساح ، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بمحضرموت ، فبلغ أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقال : قد هممت أن أحرق عليهما . وقال عمر :

(١) الرواية بهذا الإسناد « وزعم آخرون » في الاستيعاب ٤ / ١٧٨٢ ويظهر أن أصحاب السير والتاريخ انتفعوا بضمون هذه الروايات في شأن المستعينة فنقلوا عن أبي عبيدة جواز أن تكونا تعودتا منه . وانظر مثلا : الاستيعاب ٤ / ١٧٨٦ .

(٢) في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من قتيلة انظر : الطبقات ٨ / ١٠٥ ، ١٠٦ وقد أورد ابن عبد البر الشطر الأكبر من خبر قتيلة مطابقا لما هو هنا وكذا فعل ابن الأثير . وانظر الاستيعاب ٤ / ١٩٠٣ وأسد الغابة ٥ / ٥٣٣ . وروى ابن كثير معظم خبرها مع النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي عبيدة في البداية والنهاية ٤ / ٢٩٨ .

ما هي من أمهات المؤمنين ، ما دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ضرب عليها حجابا . وذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص فيها بشيء وأنها ارتدت . واحتج عمر على أبي بكر في مقالته إنها ليست من أزواج (٩ و) (النبي)^(١) صلى الله عليه وسلم بارتدادها فلم تلد لمكرمة إلا مغبلا .

مضت قتيلا .

وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم شريك^(٢) من بني النجار ، ثم قال : إني أحب أن أتزوج من الأنصار ولكني أكره غيرهن ، فلم يدخل بها^(٣) .

وزعم عبد القاهر بن السري وحفص بن النضر أنه تزوج بسناء^(٤) بنت أسماء^(٥) بن الصلت الحرامية من بني سليم ، فمات قبل أن يبتني بها^(٦) .

(١) قدرت هذه الكلمة وأثبتها ، وليست في الأصل . ولعلها أن تكون سقطت أثناء الكتابة . فالكلمة التي قبلها خاتمة صفحة والكلمة التالية لها فاتحة صفحة لاحقة ، واستيفاء التعبير يقتضى إثباتها .

(٢) انظر الروايات المتكاثرة المتغايرة في نسبها وخبرها في الطبقات ١١٠/٨ — ١١٢ . وقد أورد ابن عبد البر خبر أم شريك الأنصارية مطابقا لما هنا دون إسناد صريح . الاستيعاب ٤ / ١٩٤٣ . وكذا أورد ابن الأثير في أسد الغابة ٥ / ٥٩٥ .

(٣) انظر في غير نساء الأنصار ما رواه النسائي عن أنس في سننه ٦٩/٦ .

(٤) في الأصل : بسنا . وانظر وجوه رواية اسمها في الإصابة ٣٢٨/٤ .

(٥) في الأصل : أسماء .

(٦) حديث سناء منقول عن أبي عبيدة بإسناده هذا في الاستيعاب

١٨٦٥/٤ وأسد الغابة ٥ / ٤٨٢ والإصابة ٣٢٨/٤ . وزاد صاحب الإصابة : =

فجميع من تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من قريش سبع نسوة :
أولهن خديجة ، ثم سودة ، ثم عائشة ، ثم أم سلمة ، ثم حفصة ، ثم أم حبيبة ،
ثم فاطمة ، وواحدة من حلفاء قريش . فذلك ثمان .

وجميع من تزوج من سائر^(١) العرب تسع نسوة : جويرية ، ثم ميمونة ،
ثم زينب أم المساكين ، ثم الكلابية ، ثم عمرة الغفارية^(٢) . ثم أسماء^(٣)
بنت الجون ، ثم قتيلة بنت قيس ، وأم شريك النجارية ، وسناء^(٤) السلمية ،
فذلك تسع . وصفية بنت حيي من بني إسرائيل . فذلك عشر^(٥) .

وكانت له (٩ ظ) صلى الله عليه وسلم وليدتان : إحداهما مارية القبطية ،
وكان المقوقس صاحب الإسكندرية بمصر قد بعث بها إلى النبي صلى الله
عليه وسلم ، فولدت له إبراهيم^(٦) ، فأوصى بالقبط خيراً ، وقال : هم أصهارنا ،
وقال : لو بقي إبراهيم ما سويت قبطية .

= وقال (أبو عبيدة) : هي عمّة عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت
أمير خراسان . وانظر في هذه الزيادة : المحبر ٩٣ . وانظر فيمن نقل عن
أبي عبيدة أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها : البداية والنهاية ٢٩٩/٥ .
(١) في الأصل : سائر

(٢) هي عمرة بنت يزيد الغفارية إحدى نساء بني كلاب (البداية والنهاية
٢٩٦/٤) . وقد ذكرها ابن كثير ثمانية اثنتين لم يدخل بهما . وانظر البداية
والنهاية ٢٩٢/٥ والسمط الثمين ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٣) في الأصل : أسماء

(٤) في الأصل : سناء

(٥) في الأصل : عشرة .

(٦) انظر حديث إبراهيم وأمه مارية في : الطبقات ١٥٣/٨ وما بعدها
والمحبر ٩٨ والاستيعاب ١٩١٢/٤ . والروض الآتق ١٢٤/١ وأسد الغابة ٥٤٣/٥
وامتاع الأسماع ٣٠٨ ، ٤٣٣

مضت مارية القبطية .

وكانت له ريحانة بنت زيد بن شمعون من بنى حنافة من بنى النضير^(١) .
وقال بعضهم : رُبَيْحَة^(٢) القرظية إحدى^(٣) نساء^(٤) بنى حنافة^(٥) . وكانت
تكون فى نخلة بالعالية^(٦) ، وكانت تقيل عندها أحياناً إذا ماجاء^(٧) النخل .
وزعموا أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ابتدأه أول وجهه الذى توفى فيه
عندها . سبأها فى شوال سنة أربع .

تسمية من طلق النبي صلى الله عليه وسلم من نسائه^(٨)

طلق حفصة بنت عمر فأتاه جبريل فقال له : راجعها ، فإنها صوامة قوامة ،
وهى فى الجنة ، فراجعها^(٩) .

(١) فى الطبقات ٩٢/٨ : بنت زيد بن عمرو بن حنافة بن شمعون من
بنى النضير . وانظر خبرها فى الاستيعاب ١٨٤٧/٤ وأسد الغابة ٤٦٠/٥ .
وقد نقل ابن كثير شطرا من حديث ريحانة هذا عن أبى عبيدة فى البداية
والنهاية ٣٠٩/٥ .

(٢) بالتصغير — ابن الأثير : أسد الغابة ٤٦١/٥ وابن سيد الناس :
عيون الأثر ٣١١/٢ وابن حجر : الإصابة ٣٠٣/٤ .

(٣) فى الأصل : أحد

(٤) فى الأصل : نساء .

(٥) فى هامش الصفحة من الأصل المخطوط : حنيفة ، يعلوها ظ .

(٦) العالية . . . من أعمال المدينة . . . أرض ماء ونخيل . . . انظر :

الطبقات ١/١ ، ٨٦ ، ١٢٦١/٢ ، ١/٣ ، ١٣٨ ، ١٥٣/٨ .

(٧) فى الأصل : جا

(٨) فى الأصل : نساياه .

(٩) الرواية فى الطبقات ٥٨/٨ ، ٥٩ من أكثر من طريق .

وطلق سودة بنت زمعة فقعدت له قبل صلاة الصبح ، فلما مرّ قالت له :
إنه ليس لي في الرجال أرب ، ولكنني أحب أن أبعث في أزواجك فراجعني ،
واجعل يومى لمن أحببت من نسائك . فراجعها وجعل يومها لعائشة^(١) .

وزعم (١٠ و) سعيد عن قتادة قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم عن
تسع^(٢) ، خمس منهن من قريش ، ثلاث من سائر^(٣) العرب ، وواحدة من
بنى هارون : عن عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ،
وأم سلمة بنت أبي أمية . فهؤلاء خمس من قريش . ومن سائر العرب ميمونة
بنت الحارث ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث ، ومن بنى إسرائيل
صفية بنت حيي .

تسمية من خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج
خطب جرة^(٤) بنت الحارث بن عوف بن أبي حارة للرّى^(٥) إلى أبيها

(١) انظر طلاق النبي صلى الله عليه وسلم زمعة ومراجعته إياها في الطبقات
٣٦/٨ ، ٣٧ بروايات متقاربة متكاملة من طرق شتى .

(٢) انظر ابن حبيب في المحبّر ص ٩٨ ، فإن روايته مقاربة .

(٣) في الأصل : سائر

(٤) في الأصل : حمزة . ولعله وهم من الناسخ ، فلست أجد أن العرب
يسمون بحمزة غير الرجال . وهي كذا (حمزة) في البداية والنهاية ٣٠٢/٥
وليس بشيء ، فإن طبعته كثيرة التحريف . والتصويب من الطبري ١٧٧/١
وعيون الآثار ٣٠٩ . وهي جرة أيضا في التاج — جمر .

(٥) في الأصل : المزني ، وهو خطأ من الناسخ . وانظر إمتاع الأسماع
٢١٩ وتاج العروس (جمر)

فقال : إن بها سوءاً . ولم يكن بها شيء^(١) ، فرجع إليها أبوها وقد برصت .
فهي أم شبيب بن البرصاء^(٢) الشاعر .

وخطب أم حبيب^(٣) بنت العباس بن عبد المطلب ، فوجد أباها العباس
ابن عبد المطلب أخاها من الرضاعة ، أرضعتها أمة اسمها ثوية ، أمة كانت
لأبي صبيح بن هاشم^(٤) .

(١) في الأصل : شيئاً ، وهو وجه مرجوح ، وتوجيهه هنا بعيد .

(٢) في الأصل : البرصاء

(٣) كذا في نسب قريش ٢٧ وهو أشهر (الإصابة ٤/٤٢٢) وفي الطبقات
٢/٤ : أم حبيبة . وانظر في خطبة النبي إياها : الطبري ١/١٧٧٧ والبداية
والنهاية ٥/٣٠٢ .

(٤) برغم ما يرد في الطبري والبداية والنهاية من القول بخطبة
النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيب (انظر المصدرين المذكورين في المواطنين
المشار إليهما آنفاً) . . إلا أن الأعراف في الآهات من المصادر أن أخا
للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، من أبناء عبد المطلب ، وهو حمزة . وليس
يرد العباس أخا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة (الطبقات ١/١٦٧٤ ، ذخائر
العقبى ٢٥٩ ، ٢٦٠) . فتوية وهي مولاة كانت لأبي لهب ، أرضعت
النبي صلى الله عليه وسلم بلبن ابنها مسروح وأرضعت أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي
وحمزة (الاشتقاق ١٠٢ والطبقات ١/١٦٧٤ ، ٦٨ ، والبداية والنهاية ٤/٨٩ ، ٩٠) .
ومن إخوة النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة يوسفان ابن الحارث
ابن عبد المطلب ، أرضعتها حليلة (ذيل المذيل ٣/٢٣٠٨) .

ثم إن العباس أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ومستبعد
أن يكون شركه فترة الرضاعة . ذيل المذيل ٣/٢٣١١ والطبقات ٤/١ ، والذي
يتواتر في الطبقات هو عرض ابنة حمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس
بين الروايات واحدة عرض فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ابنة العباس .
ويورد ابن حجر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان نوى أن يتزوج أم حبيب =

وقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم : أراك تزوج من نساء^(١) قریش
ها هنا وها هنا ، فما يمنعك من بنت حمزة ؟ قال : إن أبلاها رضيعي^(٢) .

وعرض عليه الضحاک بن سفيان^(٣) ، أحد بني أبي بكر ، ابنته ، ووصف
جمالها . ثم قال : ومع ما وهنت لك من جمالها أتها لم تُصدع قط . فقال :
لا حاجة لي (١١) بها^(٤) .

وذكر عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي^(٥) قال : سمعت يحيى بن
سعيد^(٦) يقول : أخبرتنى عمرة^(٧) أن حبيبة بنت سهل كان رسول الله صلى الله

= إن تبلغ وهو حي (الإصابة ٤/٤٢٢) ... ولكنه قبض (صلى الله عليه وسلم)
قبل أن تبلغ (الاستيعاب ٤/١٩٢٨ وأسد الغابة ٥/٥٧٢) وانظر في إخوة
النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة : سيرة ابن هشام ١ / ١٦١ وإمتاع
الأسماع ص ٦٠٥ .

(١) في الأصل . نسا .

(٢) الحديث في الاستيعاب ١/٢٩٠ .

(٣) صحابي ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية إلى بني كلاب .
انظر تهذيب النووي ١/١ ، ٢٤٩ ، وعيون الأثر ٢/٢٠٦ .

(٤) روى هذا بنصه ابن عبد البر دون إسناد . الاستيعاب ٤/١٩٠٠
وأخذه عنه ابن الأثير في أسد الغابة ٥/٥٢٤ والمحجب الطبري في السمط الثمين ١٢٩
وفي الطبقات ٨/١٠١ ، ١٥٩ والسمط الثمين ١٢٩ وإمتاع الأسماع ٤٣٣ :
أنه تزوجها ...

(٥) « أبو محمد » ولد سنة ثمان ومائة . وتوفي بالبصرة سنة أربع وتسعين
ومائة . ابن قتيبة : المعارف ٥١٤ .

(٦) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة ... من
بنی النجار ... ولي القضاء لأبي جعفر (الاشتقاق ٤٥١ وما قبلها) .

(٧) هي عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة من بني مالك
ابن النجار ، أم حبيبة بنت سهل . الطبقات ٨/٣٢٦ . وتهذيب النووي ١/٣٣٧ .

عليه وسلم هم بها أن يتزوجها ، وأن ثابت بن قيس تزوجها . قالت عمرة :
وكان رجلا شديدا خلق فضر بها فأصبحت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغلس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآها فقال : من هذه ؟
قالت : أنا حبيبة . قال : ما شأنك ؟ قالت : يا رسول الله ^(١) لا أنا ولا ثابت .
قال : فأنت ثابت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ منها ، فأخذ منها .
فقالت : أي رسول الله ، عندي والله كل شيء أعطانيه . قالت عمرة : فأخذ
منها وقعدت عند أهلها ^(٢) .

آخر الجزء

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وحسبنا الله
ونعم الوكيل . وغفر الله لمن كتبه ولمن قرأه ولجميع المسلمين .

(١) لفظ الجلالة هنا ليس في الأصل المخطوط ، والتقدير أنه سقط
أثناء الكتابة .

(٢) انظر هذه الرواية من طريق يحيى بن سعيد وغيره في
الإصابة ٢٦٢/٤ .

المراجع والمصادر

(أ) مراجع تحقيق

كتاب تسمية أزواج النبي

(١) ابن الأثير — عز الدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم

الجزري (— ٦٣٠ هـ)

أسد الغابة في معرفة الصحابة .

طهران ١٣٧٧ هـ .

(٢) البخاري — محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤ — ٢٥٦ هـ)

صحيح البخاري

القاهرة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م

(٣) البغدادى — أبو بكر ، أحمد بن علي (— ٤٦٣ هـ)

تاريخ بغداد أو مدينة السلام

الطبعة الأولى — القاهرة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م

(٤) الثعالبي — أبو منصور ، عبد الملك بن محمد (— ٤٢٩ هـ)

نمار القلوب في المضاف والمنسوب

القاهرة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(٥) ابن الجزرى — شمس الدين ، محمد بن محمد (— ٨٣٢ هـ)

غاية النهاية فى طبقات القراء .

عنى بنشره ج . برجستراسر . وطبع لأول مرة بنفقة الناشر ومكتبة
الخانيجي بمصر ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م ، وأعادت طبعه مكتبة المثنى
ببغداد .

(٦) ابن الجوزى — عبد الرحمن بن على بن محمد (— ٥٩٧ هـ)

صفة الصفوة .

الطبعة الأولى — الهند ١٣٥٥ هـ

(٧) ابن حبيب — أبو جعفر ، محمد (— ٢٤٥ هـ)

المخبر (رواية أبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى)

اعتدت بتصحيحه الدكتورة ايلزه ليختن شقير

حيدر آباد ١٣٦١ هـ ١٩٤٢ م .

(٨) ابن حجر — أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى

(٧٧٣ — ٨٥٢ هـ)

الإصابة فى تمييز الصحابة

المكتبة التجارية — القاهرة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م

(٩) ابن حزم — أبو محمد ، على بن أحمد بن سعيد (٣٨٤ — ٤٥٦ هـ)

١ — جمهرة أنساب العرب ، بتحقيق عبد السلام هارون .

دار المعارف بمصر ١٣٨٢ — ١٩٦٢

ب — جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى ، بتحقيق الدكتور إحسان

عباس والدكتور ناصر الدين الأسد ومراجعة الأستاذ أحمد محمد

شاكر . دار المعارف بمصر .

(١٠) ابن خلكان — أبو العباس ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨ — ٦٨١ هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

القاهرة ١٣٦٧ — ١٩٤٨

(١١) ابن دريد — أبو بكر ، محمد بن الحسن (— ٣٢١ هـ)

الاشتقاق ، بتحقيق عبد السلام هارون .

الطبعة ١٣٧٨ — ١٩٥٨

(١٢) الزجاجي — أبو القاسم ، عبد الرحمن بن إسحق (— ٣٤٠ هـ)

مجالس العلماء ، بتحقيق عبد السلام هارون .

الكويت ١٩٦٢

(١٣) الزمخشري — أبو القاسم جار الله ، محمود بن عمر (— ٥٣٨ هـ)

أساس البلاغة ، بتحقيق عبد الرحيم محمود

صور بالأوفست — القاهرة ١٣٧٢ — ١٩٥٣

(١٤) ابن سعد — محمد ، كاتب الواقدي (— ٢٣٠ هـ)

كتاب الطبقات الكبير ، بتصحيح إدوارد سنجو

نشرته مؤسسة النصر بطهران مصوراً عن طبعة ليدن ١٣٢١

(١٥) السهيلي — أبو القاسم ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (٥٠٨ — ٥٨١ هـ)

الروض الأنف في تفسير ما شتمل عليه حديث السيرة النبوية

لابن هشام وبهامشه « السيرة النبوية » لابن هشام .

القاهرة ١٣٣٢ — ١٩١٤

(١٦) السيوطى — جلال الدين ، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد (— ٨٩١١ هـ)

بغية الوعاة ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٢٦ هـ

(١٧) ابن سيّد الناس — أبو الفتح ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله
(٦٧١ — ٧٣٤ هـ)

عيون الأثر فى فنون المغازى والشمال والسير

القاهرة ١٣٥٦ هـ

(١٨) الطبرى — أبو جعفر ، محمد بن جرير (٢٢٤ — ٣١٠ هـ)

تاريخ الرسل والملوك ملحقاً به (المنتخب من كتاب ذيل المذيل من
تاريخ الصحابة والتابعين له) . بتحقيق دى غويه .
صورته مكتبة خياط ببيروت عن طبعة أوروبا .

(١٩) ابن عبد البر — أبو عمر ، يوسف بن عبد الله بن محمد (٣٦٨ — ٤٦٣ هـ)

١ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب

بتحقيق على البجاوى

القاهرة مكتبة نهضة مصر

ب — الدرر فى اختصار المغازى والسير بتحقيق الدكتور شوقى ضيف

القاهرة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .

(٢٠) ابن العماد الحنبلى — أبو الفلاح ، عبد الحى (١٠٨٩ هـ)

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

بيروت

(٢١) القلقشندي — أبو العباس ، أحمد (٧٥٦ — ٨٢١ هـ)

نهاية الأرب في معرفة ألساب العرب . بتحقيق إبراهيم الإياري

القاهرة ١٩٥٩ م .

(٢٢) ابن قيم الجوزية — أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٦٩١ — ٧٥٢ هـ)

١ — جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام

إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٧ هـ

ب — زاد المعاد في هدى خير العباد . بتحقيق محمد حامد الفقي

القاهرة ١٩٥٣

(٢٣) ابن كثير — إسماعيل بن عمر (— ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية في التاريخ .

الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م .

القاهرة

(٢٤) المحب الطبري — أحمد بن عبد الله (— ٦٩٤ هـ)

١ — ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى

القاهرة ١٣٥٦ هـ

ب — السط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين

نشره محمد راغب الطباخ بحلب ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م

(الطبعة الأولى)

(٢٥) مصعب الزيرى — أبو عبد الله ، المصعب بن عبد الله (١٥٦ —
٢٣٦ هـ)

نسب قريش ، بتحقيق ليفى بروفسال .

دار المعارف بمصر ١٩٥٣ م .

(٢٦) المقرئى — تقي الدين ، أحمد بن علي (٧٦٦ — ٨٤٥ هـ)

إمتاع الأصماع . صححه وشرحه الأستاذ محمود محمد شاكر

القاهرة ١٩٤١ م .

(٢٧) ابن منظور — أبو الفضل جمال الدين ، محمد بن مكرم بن علي

(— ٧١١ هـ)

لسان العرب — بيروت ١٣٧٤ — ١٩٥٥ م .

(٢٨) ابن النديم — محمد بن إسحاق (— ٤٣٨ هـ)

الفهرست

صورته مكتبة خياط — بيروت عن نشرة فلوجل

(٢٩) النووى — أبو زكريا ، محيى الدين بن شرف (— ٦٧٦ هـ)

تهذيب الأسماء واللغات

عن طبعة إدارة الكتب للنيرة .

(٣٠) النويرى — شهاب الدين ، أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧ — ٧٣٣ هـ)

نهاية الأرب فى فنون الأدب .

دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م

(٣١) ابن هشام — أبو محمد ، عبد الملك . . (٥٢١٣)
السيرة النبوية — بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا وآخرين

(٣٢) الواقدي — أبو عبد الله ، محمد بن عمر (— ٥٢٠٧)
مغازي رسول الله

القاهرة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

(٣٣) ياقوت — أبو عبد الله ، شهاب الدين — ياقوت بن عبد الله
(— ٦٢٦ هـ)

معجم البلدان
طبع دار صادر — دار بيروت .

الكتاب العربي المخطوط

في نشأته وتطوره إلى آخر القرن الرابع الهجري

بقلم الدكتور عبد الستار الخالوي

كتابة الشعر الجاهلي والمعلقات :

لو صحت القصة التي تقول إن النعمان بن المنذر (المتوفى سنة ٦٠٢ م) أمر فنسخت له أشعار العرب في الطنوج (وهي الكراريس) ثم دفنها في قصره الأبيض ، فلما كان المختار بن أبي عبيد (حوالي سنة ٦٧ هـ) قيل له إن تحت القصر كنزاً فاحتفروه فأخرج تلك الأشعار^(١) ، وكانت هذه المدونات أول مخطوطات عربية عرفها التاريخ . ولكننا لا نستطيع أن نبني حقائق العلم على دعاوى لا تستند إلى أي أساس تاريخي . فالثابت يقينا أن الكتابة في العصر الجاهلي كانت محصورة في أناس معدودين ، وأن أدواتها لم تخرج في معظمها عن العصب والخاف وعظام أكتاف الإبل وأضلاعها ، وأن الكراريس لم تعرف في هذا العصر على الإطلاق ، بل إن لفظ الطنوج هذا لم يرد في غير تلك الرواية التي تنسب إلى حماد ، وهو رجل منهم مشكوك في رواياته . وهو هنا يزيدنا تشكيكاً في نفسه حين يعقب على تلك القصة بقوله : « ومن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة » . في ذلك تحيز واضح لموطنه الكوفي .

وكما ابتدع حماد قصة كتابة الشعر الجاهلي للنعمان ، ابتدع قصة أخرى

(١) الخصائص ، طبعة دار الكتب ج ١ ص ٣٨٧

ترددت كثيراً في الكتب القديمة وهي قصة كتابة المعلقات بماء الذهب وتعليقها على أستاذ الكعبة تخليداً لها ونجيداً لقائلها . ولقد أثارت تلك الأسطورة جدلاً طويلاً واختلاف حولها القدماء والمحدثون على السواء . فيما يثبتها صاحب العقد الفريد وصاحب العمدة ، وينفيها أبو جعفر أحمد بن النحاس (المتوفى سنة ٣٣٨ هـ)^(١) لا نجد لها ذكراً أو حتى مجرد إشارة في كتابات الجاحظ والمبرد وأبي الفرج الأصفهاني . وما دامت القصة موضع خلاف منذ ظهرت . فأحرى بنا ألا تنحاز إلى صفوف المؤيدين أو المعارضين وأن تناقشها بعيداً عن أولئك وهؤلاء لعلنا ننتهي فيها إلى رأى نطمئن إليه .

وأول ما يلفت النظر في قصة كتابة المعلقات وتعليقها في الكعبة هو مصدر الرواية وتوقيتها . فحماد (المتوفى سنة ١٥٥ هـ) هو الذي جمع السبع الطوال وشهرها بين الناس ، وابن الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) هو الذي زعم أنها علقت على الكعبة ، وكلاهما منهم مشكوك في روايته . ولو صححت هذه الرواية لوجدنا تسمية المعلقات أو المذهبات في أقدم المصادر التي عالجت موضوع الشعر العربي مثل المفضليات وجمهرة أشعار العرب ، ولما وجدنا صاحب الجمهرة يسمى تلك القصائد الجاهلية « السبع الطوال » ويقول إن المذهبات سبع قصائد للأوس والخزرج خاصة^(٢) .

وفضلاً عما في مصدر الرواية وتوقيتها من بواعث الشك والريبة ، نلاحظ اختلافاً شديداً حول عدد هذه المعلقات وهل هي سبع أم تسع أم عشر . وحتى

(١) شرح المعلقات السبع لأبي جعفر بن النحاس ، ورقة ١٠٠ من مخطوطة دار الكتب رقم ٤٦٠ أدب .

(٢) جمهرة أشعار العرب ، طبعة بولاق ، ص ٣٤ — ٣٥

أصحاب الرأي الواحد يختلفون حول أصحاب تلك القصائد ، فبعضهم يعد
الأعشى والنايفة منهم ، والبعض الآخر يستقطعها ويثبت مكانها عنقرة
والخارث بن حلزة .

وإلى جانب هذا الخلاف ، هناك خلاقات لا حصر لها في رواية أبيات
كل قصيدة من تلك القصائد الجاهلية . ولو أنها كتبت فعلا لما اختلف
الناس حول عددها ولا حول أصحابها ولا في رواية أبياتها .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن الكتابة بماء الذهب لم تعرف في الجاهلية
وأن تلك القصائد ليس فيها ذكر للأصنام أو تمجيد لها بحيث تستأهل أن
يضعها العرب في الكعبة موطن مقدساتهم ومعتقداتهم ، وأن كتب التاريخ
التي تحدثت عن فتح مكة ذكرت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وجد
في الكعبة أصناماً فخطمها ولم تذكر شيئاً عن قصائد معلقة أبقاها الرسول أو
أمر بنزعها باعتبارها شعراً وثنيّاً يجب أن يتطهر منه بيت الله الحرام .

وإذا وضعنا في اعتبارنا قلة الكتب وصعوبة الكتابة في ذلك العصر
وتعذر تعليق العصب والمظالم والخلاف التي تتسع لمئات الأبيات من الشعر
مع المحافظة على ترتيب أبيات كل قصيدة منها . أقول : إن كل هذه العوامل
مجتمعة تؤكد حقيقة هامة وهي أن تلك القصائد الجاهلية لم تكتب ولم تعلق
على الكعبة وإنما كانت تبعها الصدور ويتناقلها الرواة عبر المكان من
قبيلة إلى قبيلة وعبر الزمان من جيل إلى جيل .

أما ما يقال من أن بعض الشعراء كانوا يكتبون قطعاً من أشعارهم
ويرسلونها إلى قبائلهم تحمل إليهم العتاب حيناً وتصف لهم أحوال الأسر
حيناً آخر وتحذرهم من غزو الغزاة وطمع الطامعين في بعض الأحيان ، فأغلب

الظن أن هذه الرسائل المنظومة كانت شفوية ولم تكن مكتوبة لسببين
بسيطين أولهما أن معظم الشعراء في ذلك العصر كانوا أميين لا يكتبون ،
وثانيهما أن أدوات الكتابة وموادها لم تكن من السهولة واليسر بحيث
يمكن أن تتوفر للأسير في أسره أو للسجين في سجنه .

وإذن فالعرب في جاهليتهم لم يكتبوا كتباً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ،
ولم يكن لفظ الكتاب يتجاوز في أذهانهم مفهوم الكتب السماوية . ولعل
ذلك هو ما يفسر لنا إطلاق تعبير « أهل الكتاب » في القرآن الكريم على
أصحاب الديانات السماوية السابقة على الإسلام .

ولسنا بذلك ننفي معرفتهم بالكتابة أو استعمالها ، لأن الكتابة
كانت معروفة ومستعملة في جزيرة العرب قبل الإسلام بزمن غير قصير ،
ولكنها كانت محصورة في نطاق ضيق محدود وفي أناس معدودين لم
يتجاوزوا بها كتابة العهود والأحلاف وصكوك الدين ، ولم يتوسعوا في استعمالها
بحيث تشمل مختلف شئون الحياة التي يحيونها .

وإذن فقد كانت الكتابة في العصر الجاهلي مغلوطة الخلق ، وكان الإسلام
هو الذي فك أسرارها وانطلق بها على طريق التطور والنماء حين أخذ أصحابه
بتعلمها وممارستها في مختلف شئون الحياة التي يحيونها « يا أيها الذين آمنوا إذا
تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ولا تسأموا أن تكتبوه
صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى
ألا ترتابوا (١) » .

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

المخطوط الأول :

ومع ظهور الإسلام بدأت طبقة جديدة من الكتاب تظهر في المجتمع العربي وتدور في فلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإلى جانب كتاب الوحي ، كان هناك كتاب يكتبون الرسائل التي يبعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى شتى بقاع الأرض يدعو الناس فيها إلى الدخول في دين الله ، وآخرون يكتبون للرسول صلوات الله وسلامه عليه حوائجه ، وغيرهم يختصون بالكتابة في شئون المسلمين .

وسرعان ما انتشرت الكتابة بين أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى خشى عليهم أن يخلطوا القرآن بسواه في تلك الفترة الأولى من تاريخ الدعوة ، ففراهم يصدر أمره ألا يكتب المسلمون شيئاً سوى القرآن .

وهكذا نستطيع أن نقول إن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبائه قد شهد تخرجاً من التوسع في استعمال الكتابة ، ولكن هذا الحرج كان يزول مع الزمن شيئاً فشيئاً ، وكانت دواعي التدوين تفرض نفسها على العرب وتلح عليهم يوماً بعد يوم نتيجة لانتشار الروايات وتشعب الأسانيد وكثرة أسماء الرجال وكُنُى وأنسابهم مما جعل الحفظ أمراً عسيراً مجهداً . ونمخض ذلك كله عن حركة التدوين التي ظهرت مع أوائل القرن الثاني الهجري .

أما في القرن الأول فلم يكن لدى العرب كتاب يستأثر باهتمامهم غير كتاب الله .

فحينما استحوّ القتل بالقراء يوم البجامة فزع عمر بن الخطاب إلى خليفة رسول الله بسأله أن يجمع القرآن خوفاً على ضياعه بمقتل حملته وحافظيه ،

فتردد أبو بكر في أن يقدم على عمل لم يقدم عليه رسول الله ، وما زال عمر يراجع حتى شرح الله صدره للذي شرح له صدر عمر ، فاستدعى زيد بن ثابت الذي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بأن يجمع القرآن .

وهكذا جُمع للمصحف مرتب الآيات غير مرتب السور في خلافة الصديق رضي الله عنه ، وظلت تلك المصحف عنده حتى توفاه الله ، فانتقلت الأمانة إلى خليفته عمر وظلت عنده حتى لقي ربه ، فألت من بعده إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، وبقيت عندها إلى أن وقع الخلاف بين القراء حين التقى الشاميون بالحجازيين والعراقيين في فتح أرمينية وآذر بيجان سنة ٣٠ هـ حتى كفر بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض . ورأى حذيفة بن اليمان ذلك فلم يكدهود إلى المدينة حتى مضى إلى عثمان يخبره بما رأى وما سمع ، ويقول له : « يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » (١) . فأمر عثمان بنسخ المصحف التي كانت عند حفصة في المصاحف ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . ومن المدينة المنورة خرجت أول مخطوطات عربية في التاريخ متمثلة في تلك المصاحف التي بعث بها عثمان إلى الأنصار ، والتي اختلف في عددها فقيل إنها أربعة ، أرسل ثلاثة منها إلى الكوفة والبصرة والشام وأبقى الرابع بالمدينة . وأضاف البعض مصحفاً خامساً قالوا إن عثمان بعث به إلى مكة ، في حين ذهب البعض إلى أنها كانت سبعة مصاحف أبقى الخليفة واحداً منها بالمدينة وبعث الستة الباقية إلى الكوفة والبصرة ومكة

(١) صحيح البخاري ، طبعة بولاق ، ج ٦ ص ١٨٣ — ١٨٤ .

والشام واليمن والبحرين^(١) . وكانت تلك المصاحف الأولى مكتوبة على الرق لكونه أبقي دواماً وأكثر استيعاباً للنص ، وكانت مجردة من النقط والشكل شأنها شأن كل ما بقي لنا من كتابات ذلك الزمان . وكانت مجلدة بأبسط صور التجليد وهو وضع كل منها بين لوحين بسيطين من الخشب المجرد من الحلى والزخارف .

خطوات على الطريق :

ومع أن الكتابة العربية قد بدأت تنشر بين الناس في عصر الرسول والخلفاء الراشدين إلا إنها لم تتطور في شكلها وصورتها وإنما ظلت كما كانت قبل الإسلام مجردة من الشكل والنقط اللذين استحدثا في عصر بني أمية . ففي هذا العصر بدأت بواعث الإشفاق من اللحن في قراءة القرآن تظهر شيئاً فشيئاً حتى فرضت على المسلمين أن يبدأوا بشكل آيات المصحف قبل أن يفكروا في إعجام حروفها ، لأن القرآن لم يكن يحفظ من صحف مكتوبة وإنما كان يصل إلى عقول المسلمين وأفئدتهم بطريق السماع . ومن أجل هذا لم يكن يُخشى من التصحيف بقدر ما كان يخشى من أن يلحن فيه الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام بقلوبهم وعقولهم وألسنتهم .

ونتيجة لهذا قام أبو الأسود الدؤلي البصري (المتوفى سنة ٦٩ هـ) بنقط المصاحف قط إعراب في عصر عمر أو في عصر معاوية على خلاف في الروايات . ومن البصرة انتقل النقط إلى المدينة ومنها إلى المغرب وبلاد الأندلس . وكان تقاط المدينة وأهل الأندلس يستعملون اللون الأحمر في نقط الحركات

(١) انظر : كتاب المصاحف ، ص ٣٤ والإتيان في علوم القرآن

والسكون والتشديد والتخفيف ، ويجعلون اللون الأصفر للهمزات خاصة ، بينما كان بعض النقاط يستعملون الحرة للحركات والخضرة للهمزات والصفرة للتشديد . بل إن بعض أهل العراق ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فكانوا يدخلون الحروف الشواذ في المصاحف وينقطونها بلون مخالف لنقط القراءة المشهورة^(١) .

وكما ظهر تقط الإعراب أول ما ظهر في بلاد الرافدين ، كذلك ظهر إعجام الحروف للتفريق بين المتشابه منها أول ما ظهر في البصرة في زمن عبد الملك بن مروان . ولعل السبب في انفراد العراق بتطوير الكتابة العربية هو مجاورة أهله للسريان الذين كانوا ينقطون كتابتهم على هذا العهد .

ولكن اجتماع تقط الإعراب وتقط الإعجام في الكتابة كان أمراً معقداً ومجهداً للكاتب والقارىء على السواء . ومن أجل هذا كان لابد من عملية تيسير للكتابة العربية قدر لها أن تتم على يد الخليل بن أحمد في العصر العباسي الأول . وتتلخص مهمة الخليل في إبدال النقط التي وضعها أبو الأسود بالحركات الإعرابية التي نعرفها اليوم .

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن ظهور تلك العلامات لم يقض على شكل حروف للمصحف بطريقة النقط القديمة ، فقد كان بعض الكتاب يتخرجون من إدخال أى تعديل على الكتابة بصورتها التقليدية . ونحن نلمس هذا المخرج الذي كان يخامر الصدور في قول أبي عمرو الداني : « وترك استعمال شكل الشعر وهو الشكل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل في المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحق ، اقتداء بمن ابتداء النقط من التابعين واتباعاً للأئمة السالفين^(٢) » .

(١) المحكم في تقط المصاحف لأبي عمرو الداني ، تحقيق عزة حسن ، ص ٢٠ .

(٢) المحكم ، ص ٢٢ .

حركة التأليف والترجمة :

ومع تطور الكتابة العربية نحو النضج والكمال ، ومع تحركها نحو الصورة النهائية التي استقرت عليها إلى اليوم ، كانت حركة التأليف العربية تشق طريقها إلى الوجود منذ عصر معاوية الذي يقال إنه كان ينام ثلث الليل ثم ينهض فيحضر دقائر فيها سير الملوك ومكائدهم وأخبار حروبهم لتقرأ عليه^(١) ، ويقال إنه استحضر عبيد بن شربة الجرهمي من اليمن وسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والمعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد وأمر بتدوين ذات ونسبته إلى عبيد^(٢).

وتمضى حركة التأليف بسرعة في خطاها حتى لنجد رجلاً كأبي عمرو بن العلاء (٧٠ - ١٥٤ هـ) يكتب عن العرب الفصحاء كتباً تقرأ بيتاً له إلى قريب من السقف^(٣) ورجلاً كعبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي (وكان في العصر الأموي) يتخذ بيتاً فيجعل فيه نادياً ثقافياً — إن جاز لنا أن نستعمل مصطلحات العصر الحديث — فيه شطرنجات وزردات ودقائر « فيها من كل علم » على حد تعبير أبي الفرج الأصفهاني^(٤).

ولكن كتب القرن الأول وأوائل القرن الثاني لم تكن سوى مباحث مفردة لا يتجاوز كل منها حدود المسألة التي يناقشها إلى ما يتصل بها أو يدور حولها ، فكان الكتاب بمثابة فصل من فصول كتاب من الكتب

(١) مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨

(٢) الفهرست ، طبعة المكتبة التجارية ، ص ١٣٢

(٣) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج ١ ص ٣٢١

(٤) الأغاني ، طبعة دار الكتب ، ج ٤ ص ٥٢

الحديث . ومثال ذلك « مسائل نافع بن الأزرق » التي تنسب إلى ابن عباس ونشرها محمد فؤاد عبد الباقي ملحقة بمعجم غريب القرآن .

وبظهور حلقات الدرس ومجالس الإملاء في القرن الثاني بدأ التأليف يتجاوز حدوده القديمة ، وأصبح العالم لا يلتزم بموضوع محدد وإنما يتعرض لأكثر من موضوع ويتناول أكثر من فن من فنون المعرفة في المجلس الواحد ، يشجعه على ذلك ويفريه به أن المحاضرات أو حلقات الدرس لم تكن معدة ولا مكتوبة وإنما كانت تخضع للارتجال والظروف .

وعلى الرغم من ذلك فقد بدأت بعض العلوم تنفصل عن غيرها وتستقل بنفسها منذ منتصف القرن الثاني على وجه التقريب . وكان طبيعياً أن يبدأ التأليف في النحو والحديث والتفسير والمغاري قبل غيرها من العلوم لأنها تخدم النص القرآني وتساعد على فهمه وتقريبه إلى الأذهان . وبعد ذلك تتابع التأليف في مختلف فروع المعرفة ، وبدأ العرب يحسون بالحاجة إلى تدوين تراثهم وتاريخهم فظهرت في المائة الثانية كتب اللغة والشعر والتاريخ متأثرة في أول أمرها بطريقة الإسناد التي كانت متبعة في كتب الحديث .

وهكذا نستطيع أن نقول إن حركة التأليف الفعلية قد بدأت في القرن الثاني الهجري ، ولكنها لم تلبث أن ازدهرت ازدهاراً رائعاً على أواخر هذا القرن وأوائل القرن التالي . ويعتبر الإمام الشافعي والمدايني والواقدي وجابر بن حيان وهشام الكلبي وإسحق الموصلي ، ومن بعدهم الجاحظ والكندي والرازي نماذج رائعة لكثرة الكتب وضخامة حركة التأليف في تلك الحقبة من التاريخ العربي^(١) .

(١) راجع فهرست ابن النديم تجد فيه صورة حية لضخامة حركة التأليف في القرنين الثالث والرابع على وجه الخصوص .

وكنتيجة طبيعية لازدهار حركة التأليف والترجمة وكثرة الكتب وتداولها بين الناس في هذا العصر ، ظهرت على مشارف القرن الثالث الهجري أول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب وهي بيت الحكمة أو خزانة الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون . ولم تكن تلك الخزانة مجرد مخزن للكتب كما يوحي اسمها بذلك ، وإنما كانت مركزا للثقافة بأوسع معانيها ، فكانت منتدى للعلماء وقاعة بحث للدارسين ومركزا للترجمة والنشر بتعبير العصر الحديث ، وكانت فوق ذلك كله نموذجا ومثالا احتذاء أولو العلم والمعرفة من ذوى السعة ، فبدأت خزائن الكتب الخاصة والعامة تظهر منذ منتصف القرن الثالث أو حتى قبل أن ينتصف هذا القرن ، ثم تُوِّجت الحركة المكتبية العربية في القرن الرابع بظهور أعظم مكتبتين في العصر الوسيط كله وهما خزانة كتب العزيز الفاطمي بمصر وخزانة الحكم المستنصر الأموي بالأندلس . وفي الأندلس على وجه الخصوص ، كانت الكتب قد كثرت خلال هذا القرن وأصبحت موضع اهتمام الناس جميعا حتى لم تعد مظهرا من مظاهر العلم بقدر ما هي مظهر من مظاهر الترف والثراء ، تماما كما كان الحال في بلاد الرومان في القرنين الأولين من ميلاد السيد المسيح . وتلك ظاهرة مرضية لا شك في هذا ، ولكنها مع ذلك تدل على كثرة الكتب والمصنفات وانتشارها في ذلك العصر ، وتدل أيضا على أنه كان هناك سوق نشطة لتجارة الكتب .

ولم تكن كثرة الكتب هي الظاهرة الوحيدة الملفتة في القرنين الثالث والرابع ، وإنما الذي يلفت النظر أكثر من ذلك أن كثيرا من تلك المؤلفات كان يقع في مجلدات كبيرة حتى ليروى أن كتاب « غريب الحديث » لأبي بكر بن الأنباري (المتوفى سنة ٥٣٢٧) كان يقع في خمس وأربعين ألف ورقة .

وكتاب ككتاب الأغاني الذي ألفه أبو الفرج الأصفهاني في واحد وعشرين مجلدا ضخما ، أو كتاب مروج الذهب الذي ألفه المسعودي في ثلاثين مجلدا ثم اختصره إلى الحجم الحالي ، يعطينا صورة لضخامة المصنفات في القرن الرابع الهجري الذي ألف فيه الكتابان .

ولكن كثرة الكتب وضخامتها لا تكون مثارا للإعجاب إلا إذا قابلها واقترن بها شغف شديد بالقراءة وحرص شديد على اقتناء الكتب يدفع عجلة التأليف ويمدها بأسباب القوة والانطلاق . وهنا ينبغي أن نسجل بالفخر والإعجاب أن هذا الشغف قد بدأ مع بداية حركة التأليف والترجمة ، أو إن شئنا الدقة قلنا إنه بدأ قبلها ومهد لها وكان مسببا لها ودافعا قويا من دوافع وجودها ، ثم لم يلبث أن بلغ ذروته في القرن الثالث . ويكفي أن نذكر الجاحظ والفتح بن خاقان وإسماعيل بن إسحق القاضي وابن الأعرابي كنماذج رائعة لهذا الشغف ، وكمثليين لروح العصر وطبيعته .

الوراقة والوراقون :

ونتيجة لحركة التأليف والترجمة التي ظهرت مع أوائل العصر العباسي وما استتبعها من كثرة المؤلفات وحرص الناس على تناقلها ، ونتيجة لتصنيع الورق في بغداد في الربع الأخير من القرن الثاني وما استتبع ذلك من سهولة الحصول عليه وتداوله بين الناس ، ظهرت صناعة الوراقة التي تفرغ لها قوم عرفوا في كتب التراث العربي باسم الوراقين ، ومارسها إلى جانب هؤلاء المحترفين عدد كبير من العلماء والأدباء والمحدثين والمفسرين واللغويين والنحاة .

والوراقة — كما يعرفها ابن خلدون — هي عملية « الانتساخ والتصحيح

والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين^(١) ، « وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الوراق أيضا » كما يقول السمعاني^(٢) . وبتعبير العصر الحديث نستطيع أن نقول إن الوراقة هي عملية النشر والتحقيق بكل ما تستتبعه من تصحيح وتجليد وتوزيع ، أما حوانيت الوراقين فكانت تقوم مقام دور النشر في عصرنا هذا ، وكانت تقوم إلى جانب ذلك بما تقوم به المكتبات الآن من بيع الورق والأدوات الكتابية كاللداد والأقلام ، وكانت متمركزة في المراكز الحضارية وفي مقدمتها عاصمة الخلافة بغداد .

وهناك رأى يرجع بنشأة الوراقة إلى مالك بن دينار (للتوفي سنة ١٣٠ هـ) ونحن نرجح أن لفظ الوراقة مشتق من الورق ، وطبيعي ألا تظهر تلك الصناعة إلا بعد أن يوجد الورق ويشيع بين الناس ويصبح في متناول الجميع ، وذلك شيء لم يحدث إلا في أواخر القرن الثاني الهجري بعد أن صنع الورق في بغداد .

والواقع أنه في أواخر هذا القرن الثاني كان كل شيء مهيبا لظهور الوراقة . فإلى جانب صناعة الورق التي ولدت على الأرض العربية ، وجد شريانان مهمان غنيا حركة الوراقة وأمداهما بدماء متدفقة متجددة وهما الحركة العلمية وما استتبعها من نشاط في التأليف والترجمة ، ومجالس الإملاء وما نتج عنها من مؤلفات عرفت في التاريخ العربي باسم الأملى .

وهكذا التقت تلك الروافد الثلاثة لتغذي حركة الوراقة التي انتشرت حوانيتها في شوارع بغداد حتى بلغت أكثر من مائة حانوت قبل أن يبلغ

(١) مقدمة ابن خلدون ، تحقيق على عبد الواحد وافي ، ص ٩٦٢ .

(٢) الأنساب ، طبعة بريل ، ورقة ٥٧٩ ب .

القرن الثالث نهايته^(١) . ولم تكن تلك الحوانيت مجرد أماكن لنسخ الكتب أو بيعها كما قد يتبادر إلى الذهن ، وإنما كانت « مجالس للعلماء والشعراء » على حد تعبير ابن الجوزي^(٢) ، وكانت ملتقى الطبقات المثقفة في المجتمع العربي ، وكان يقوم عليها رجال أولو فضل وعلم ، لعل من أبرزهم في القرن الرابع محمد بن إسحق النديم وأبو حيان التوحيدي .

وخلال القرنين الثالث والرابع الهجريين كانت الوراقة صناعة رائجة وحرقة مجزية ، وكانت أسعار النسخ تتزايد باطراد لدرجة أنها ارتفعت إلى عشرة أضعاف في خلال قرن واحد . فبينما نسخ وراقو الفراء كل عشر ورقات بدرهم في القرن الثالث^(٣) ، نرى أبا العباس الأحول في غضون هذا القرن يكتب مائة ورقة بعشرين درهما^(٤) . ثم تنشط سوق الوراقة وترتفع الأسعار ارتفاعاً ملحوظاً حتى أصبحت الورقة تنسخ بدرهم . فالحطيب البغدادي يروي أن القاضي أبا سعيد السيرافي (للتوفي سنة ٣٨٠) كان « لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس في كل يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرها عشرة دراهم تكون قدر مئوته^(٥) » .

وكان بعض الوراقين يسعون إلى المؤلفين يحصلون منهم على ما يمكن أن نسميه « حقوق النشر » بمصطلح العصر الحديث ، ثم يعضون إلى العلماء وطلاب العلم يعرضون عليهم بضاعتهم من الكتب التي أعطى لهم مؤلفوها

(١) انظر : البلدان لليعقوبي ، طبعة النجف ، ص ١٣ .

(٢) مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، ص ٢٦ .

(٣) تاريخ بغداد ج ١٤ ، ص ١٥٠ .

(٤) معجم الأدباء ، الطبعة الثانية ، ج ١٨ ، ص ١٢٦

(٥) تاريخ بغداد ج ٧ ، ص ٣٤٢

حق التوريق فيها ، فمن أراد نسخة من كتاب فما عليه إلا أن يتفق مع الوراق على السعر والوقت اللازم لعملية النسخ والمراجعة والضبط .

وبينما كان بعض الوراقين موظفين دائمين عند علية القوم وسراهم كأولئك الذين كانوا يورقون في خزانة الوزير أبي الفضل بن الفرات وفي دار الوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس ، كان بعضهم الآخر يختصون بعملاء معينين فيلزمونهم كما كان الحال بالنسبة لوراقي الفراء .

وكثيرا ما كان الوراقون يباشرون أعمالهم في دور من يقومون بالوراقة لحسابهم ، وربما اضطروا إلى المبيت عند المؤلفين في فترات التأليف كالذي يرويهِ الخطيب البغدادي من أن يعقوب بن شيبة السدوسي (المتوفى سنة ٢٦٢هـ) « كان في منزله أربعون لحافا أعدها لمن كان يبيت عنده من الوراقين لتبييض للسند ونقله ^(١) » .

والشيء الذي لا شك فيه هو أن حركة الوراقة في القرنين الثالث والرابع تعكس نشاطا فكريا رائعا ، وتمثل جانبا مضيئا لا نقول في تاريخ الثقافة العربية فحسب ، وإنما في تاريخ الحضارة الإنسانية كلها . فقد كانت عاصمة العباسيين في ذلك الزمان البعيد تتمتع بثراء فكري منقطع النظير ، وكانت سوق الوراقين مركزا للنشاط العقلي ، وكانت حوائثهم مستودعا لكل ما أنتجته القريحة العربية في شتى فروع المعرفة . وكانت كثرة هذه الحوائث ورواج سوقها دليلا واضحا على خصوصية الفكر العربي واهتمام الناس في ذلك الزمان بكل ما يلقى في مجالس الإملاء ، وما يدون في بطون الكتب من علوم الدنيا والدين .

ولكن الصورة للمضيئة لم تكن تخلو من جوانب معتمة ، فقد كان بعض

(١) تاريخ بغداد ج ١٤ ، ص ٢٨١

الوراقين يخلقون الأكاذيب ويضيفون الحقائق وينسبون للؤلفات إلى غير أصحابها، فإن النديم يروى أن كتاب الأغاني الكبير الذى ينسب إلى إسحق بن إبراهيم اللوصلى ليس من تأليفه وإنما وضعه وراق له يدعى سندی بن على^(١). ولكننا ينبغي ألا نبالغ، فإن هذا الجانب المظلم لا يمس الصورة المشرقة إلا مسارفيقا، لأنه يمثل قطاعا صغيرا لا يكاد يذكر إذا قيس إلى الصورة الكبيرة للمشرقة التى لا تملك إلا أن ننحنى لها إجلالا وتقديرا.

صناعة المخطوط العربى :

والآن، وبعد هذا العرض السريع لظروف النشأة وعوامل التطور التى أحاطت بالمخطوط العربى، لابد من وقفة أمام المخطوطات العربية الأولى فى محاولة لرسم صورة لصناعة المخطوط العربى فى تلك الفترة المبكرة من تاريخه.

وأول شىء ينبغى أن نلاحظه هو أن الكتاب العربى كان يكتب على الرق فى أول عهده بالوجود، ثم لم يلبث أن وجد فى أوراق البردى المصرية مادة طيعة له وذلك بعد الفتح الإسلامى لمصر وانتشار تلك المادة من مواد الكتابة فى دنيا العرب. فكانت المادتان تتلقيان الكتابة جنباً إلى جنب، وكان لكل منهما استعمالاتها ومحبذوها، فالرق أبقى دواما ولكنه أندر وجودا وأغلى ثمنا وأكثر تعرضا للتخريف والتبديل فى النص المكتوب، والبردى أقل احتمالا لعوامل البلى ولكنه أيسر تناولا وأضمن لبقاء النص المكتوب عليه بغير تحريف أو تبديل لأنه لا يتحمل الكشط دون أن يتمزق أو على الأقل تظهر آثاره واضحة فيه.

ولقد ظل المخطوط العربى محصورا فى هاتين المادتين حتى ظهر الورق

(١) الفهرست، ص ٢٠٣

مجلوبا من سمرقند أول الأمر ، ثم مصنوعا في مراكز الحضارة العربية ابتداء من عصر الرشيد الذي يروى أنه أمر ألا يكتب الناس إلا في الورق « لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى محى منه فسد ، وإن كُشط ظهر كشطه^(١) » .

ولكن ظهور الورق في العالم العربي وصناعته في بغداد منذ أواخر القرن الثاني لم تؤد إلى اختفاء البردي والرقوق وانعدام استخدامها في الكتابة بين يوم وليلة ، فحتى عصر الجاحظ كانت الرقوق موجودة إلى جانب الورق إلا أنها كانت في طريقها إلى الاختفاء والذئور لأنها — كما يقول — « جافية الحجم ثقيلة الوزن ، إن أصابها للساء بطلت ، وإن كان يوم لثَق^(٢) استرخت ، وإن نديت — فضلا على أن تمطر وفضلا على أن تفرق — استرسلت فامتدت ، ومتى جفت لم تعد إلى حالها إلا مع تقبُّض شديد وتشُّج قبيح . وهي أثنى ريحا وأكثر ثمنا وأحمل للغش . يُغش الكوفي بالواسطي والواسطي بالبصري ، وتعتق لكي يذهب ريحها وينجذب شعرها . وهي أكثر عقدا وعجرا وأكثر خباطا وأسقاطا . والصفرة إليها أسرع ، وسرعة انسحاق الخط فيها أعم . ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر ما يكفيه في سفره لما كفاه حمل بعير^(٣) » .

وعلى الرغم من كل هذه العيوب التي يأخذها الجاحظ على الرقوق فإنه يعترف بأنها أقوى صموداً لعوامل البلى « وأحمل للحك والتغير وأبقى على تعاور العارية وعلى تقليب الأيدي ، ولرديدها ثمن ولطرسها مرجوع ،

(١) صبح الأعشى ج ٢ ، ص ٤٧٥ — ٤٧٦ (٢) أي كثير الندى .

(٣) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ج ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣

وللمعاد منها ينوب هن الجدد^(١) ، مما جعلها مادة صالحة لأن يكتب فيها حساب الدواوين وتسجل عليها المحكوك والعهود والشروط وصور العقارات ونماذج النقوش .

وهكذا نرى أن الرق ظل يستعمل إلى جانب الورق حتى النصف الأول من القرن الثالث ، وكان له من يفضله عليه وخاصة في كتابة الأمور الحيوية التي يراد لها طول البقاء . وكذلك ظل البردي موجودا كمادة للكتابة وخاصة في مصر ، ولكنه كان يقل تدريجيا حتى انعدم مع أوائل القرن الرابع للهجرة .

على هذه المواد الثلاث كتب العرب مخطوطاتهم الأولى بأقلام من السعف أو الغاب أو القصب ، وبمداد مجلوب من الصين أول الأمر ، ثم مصنوع في بلاد العرب بعد ذلك ، إما من الدخان أو من العنص والزاج والصنع . وكان حبر الدخان يناسب الورق ولا يصلح للجلود والرق لأنه — كما يقول ابن السيد البطليوسي — « قليل اللبث فيها ، سريع الزوال عنها^(٢) » بينما كان الحبر للطبخ أو الحبر الرأس — كما كان يسمى في ذلك الحين — هو المفضل في الكتابة على الرق .

وكان الخط الكوفي هو الغالب في كتابة القرآن والكتابات التذكارية لما يتميز به من طابع هندسي يضفي عليه من الجلال ما يتفق مع مكانة تلك الكتابات في النفوس . أما سائر الكتابات العادية فكانت تكتب بخطوط تميل إلى الاستدارة . ولقد شهدت القرون الأربعة الأولى للهجرة جميع مراحل تطور الخط العربي ابتداء من قلم الطومار الذي وجد منذ أوائل

(١) رسائل الجاحظ ، ج ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، تحقيق عبد الله البستاني ، ص ٦٨

العصر الأموي حتى خطوط ابن مقلة (٢٧٢ — ٣٢٨ هـ) التي كانت ترتفع عن الوصف وتجرى مجرى السحر على حد تعبير الثعالبي^(١) . ثم جاء ابن البواب على مشارف القرن الخامس فذهب طريقة ابن مقلة وتبعها وكساها طلاوة وبهجة كما يقول ابن خلكان^(٢) .

وكانت الكتابات الأولى خالية من النقط والشكل ، وحينما دخلت الكتابة العربية مرحلة الإعجام ظلت المصاحف على وجه الخصوص محتفظة بصورتها القديمة المجردة . وبينما وجدت الحركات الإعرابية في بعض مخطوطات القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وفي مواضع اللبس على وجه الخصوص ، نجد أن المصاحف لم تتخلّ عن نقط الإعراب إلا في فترات متأخرة^(٣) .

وتدل أقدم المخطوطات التي بين أيدينا على أن العرب لم يعرفوا صفحة العنوان في أول عهدهم بصناعة الكتب ، وأن العنوان كان يأتي في المقدمة — إن وجدت — وفي نهاية المخطوط . وفي أول الأمر لم يكن العنوان الذي يرد في المقدمة يتميز عن النص بخطه أو بلون مداده ، ثم رأوا بعد ذلك أن يميزوه بلون مخالف لمداد الكتابة فاستعملوا له اللون الأحمر في أغلب الأحيان .

(١) ثمار القلوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ٢١٠

(٢) وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ج ٣ ص ٢٨

(٣) انظر على سبيل المثال مصحف مسجد سيدنا الحسين والمصحف رقم ٥٠ مصاحف طلعت بدار الكتب تجد فيهما نقط إعراب على أواخر الكلمات خاصة .

ونفس الشيء حدث بالنسبة لعناوين الفصول والعناوين الجانبية ، فلم تكن تفرق عن بقية النص في نوع الخط ولا في حجمه ولا في لون مداده ، ولم يكن يميزها إلا أنها تكتب في وسط السطر كما هو الحال في رسالة الشافعي رقم ٤١ أصول فقه م ومسائل أحمد بن حنبل رقم ٢٠٧٥٣ ب وكتاب سر النحو للزجاج رقم ١٤٩ نحو بدار الكتب بالقاهرة (وكلها من مخطوطات القرنين الثالث والرابع) . ثم بدأوا بعد ذلك يختصون العناوين بحروف أكبر وربما بخط مخالف ، وكان الخط الكوفي هو الخط المفضل عادة في مثل تلك الحالات كما في كتاب مشكل القرآن لابن قتيبة المخطوط سنة ٣٧٩ هـ والم محفوظ بدار الكتب برقم ٦٦٣ تفسير . وكانت المرحلة التالية هي تمييز العناوين بلون مغاير للون المداد الذي كتب به النص ، وكان اللون الأحمر هو المفضل في الكتب ، بينما كان الذهب هو المستحب عادة في كتابة أسماء السور في المصاحف .

وكان يطلب من الكاتب مراعاة أن تكون رموس السطور وأواخرها متساوية ، وأن يكون تباعد ما بينها على نسبة واحدة تزداد عند الانتقال من فكرة إلى فكرة أو من موضوع إلى موضوع (١) .

وكوسيلة من وسائل ضبط نهايات السطور ، كانوا يستعملون المد أو المط في الكتابة . وكان المد يستعمل عادة « إما لتحسين كلمة مثل محمد أو إزالة إشكال في سبع أو إتمام سطر نحو العلم » كما يقول ابن شيث القرشي (٢) . ومع هذا فقد كان يطلب إلى الكاتب أن يقتصدوا في استعماله قدر الإمكان وألا يكرروه في سطرين متتاليين وأن يتجنبوه في أوائل السطور على وجه

(١) انظر في ذلك : الاقتضاب ، ص ٦٨

(٢) معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، ص ٥٩

الخصوص ، ولم يكن المد مستحباً إلا في الخط الذي تتقارب سطورہ
وفي الكلمات التي لا تقل عن أربعة أحرف (١) .

وليس بين أيدينا ما يدل على أنهم كانوا يسطرون الصفحات قبل أن
يكتبوا فيها حتى يتحكموا في عدد السطور ويضمنوا استقامتها ، ومع ذلك
فنحن نرجح أنهم كانوا يفعلون ذلك في المصاحف ذوات الأحجام الكبيرة
ويغفلون في غيرها من المخطوطات العادية ، نرجح ذلك لسببين : أولهما تعذر
استقامة السطور في المساحات الكبيرة التي كانت تكتب عليها المصاحف
بدون تسطير ، وثانيهما : ما نلاحظه من تباين عدد السطور في المخطوطات
من صفحة إلى صفحة ، وانعدام هذا التباين في صفحات المصاحف .

والشيء الطريف حقاً أن العرب لم يحرصوا في تلك الفترة المبكرة من
تاريخهم على استقامة السطور فحسب ، وإنما حرصوا أيضاً على القيمة الجمالية
للكتابة . وفي كتاب « الكتاب » يرسم لنا ابن درستويه الطريق إلى تحقيق
هذه الغاية فيقول : « ومما يعدل به السطور أن تجعل أعلى ألفاتها ولاماتها
وكافاتها المنتصبة وطاءاتها متآزية على مقدار واحد غير متفاضلة ، وتجعل أسافل
الحروف المعرقة كالصادات والسينات والنونات والياءات متساوية بمقدار
واحد غير متفاوتة ، وكذلك أسافل المعقف كالجيمات والعينات فأنها تسلم
بذلك من الاعوجاج (٢) » .

ولم يكن النساخون العرب في القرون الأولى للهجرة يستعملون من علامات
الترقيم إلا النقطة كأداة للفصل بين الجمل . وكانت في أقدم صورها عبارة عن

(١) انظر كتاب الكتاب لابن درستويه ، ص ٦٩

(٢) الكتاب ، ص ٧٣ — ٧٤

دائرة صغيرة تطالعنا كأداة للفصل بين آيات المصاحف الأولى وكأداة للفصل بين الجمل في الكتب ، مجردة تارة كما في مخطوطي كتاب الانتصار لابن الخياط وكتاب أخبار سيديو المصري لابن زولاق بدار الكتب^(١) ، وبداخلها نقطة تارة أخرى كما في مخطوطات سرّ النحو ومسائل الإمام أحمد ومشكل القرآن^(٢) .

ويفهم من كلام الإمام أبي زكريا النواوي أن الدائرة كانت ترسم مجردة دائماً ، وأن النقطة التي نراها أحياناً بداخلها كان يضعها قارىء النسخة أو صاحبها حين يقرأها على الشيخ أو يعارضها على النسخ الأخرى ليبدل بها على للموضع الذي انتهى إليه في مراجعته^(٣) .

وكانوا عادة يحتزلون صيغ الإخبار والتحديث لتكرارها في كتب الحديث والتاريخ على وجه الخصوص ، فيكتفون بكتابة « أنا » بدل أخبرنا و « ثنا » أو « نا » بدل حدثنا و « قثنا » بدل قال حدثنا . وفي نسخة الربيع من رسالة الإمام الشافعي^(٤) وجدت صيغة الإخبار مختصرة إلى « أرتا » . ولم نجد في مخطوطات القرون الأربعة الأولى للهجرة اختصاراً لصيغة الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان اسمه الشريف يذكر إما مقروناً بالنبوة أو الرسالة وإما متبوعاً بالصلاة والسلام عليه دون اختصار .

-
- (١) المخطوطة الأولى رقم ٨٥٢ توحيد بالدار ومؤرخة بسنة ٣٤٧ هـ ، والثانية رقم ٣٥٤ تاريخ وهي بخط مؤلفها المتوفى سنة ٣٨٦ هـ .
- (٢) المخطوطات الثلاث موجودة بدار الكتب بالقاهرة بأرقام ١٤٩ نحو ، ٢٠٧٥٣ ب ، ٦٦٣ تفسير . والمخطوطة الأولى بآخرها مماع سنة ٣٥١ والثانية بآخرها مماع سنة ٢٦٦ ، أما الثالثة فمخطوطة سنة ٣٧٩ هـ .
- (٣) تدريب الراوي ، طبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ هـ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .
- (٤) الموجودة بدار الكتب برقم ٤١ أصول فقه م .

وكان الناسخ إذا أخطأ وتنبه للخطأ في حينه ضرب عليه (أى شطبه)
وكتب الصواب بعده . وفضلا عن ذلك فإن بعض النساخين والطلاب كانوا
يراجعون الكتب بعد الفراغ من نسخها لتصحيح ما عساه أن يكون قد وقع فيها
من خطأ أو سهو أو تكرار . وكانت الطريقة للمثلى لتصحيح هي الضرب
على الخطأ وكتابة الصواب فوقه . أما الحك أو الكشط فقد كان مكروهاً
لأسباب في كتب الحديث « لأن فيه تهمة وجهالة فيما كان أو كتب ، ولأن
زمانه أكثر فيضيع ، وفعله أخطر فربما ثقب الورقة وأفسد ما ينفذ إليه
فأضعفها (١) » .

فإذا تكرر الحرف أو الكلمة سهواً من الكاتب أبطل الثانى إلا إذا
وقعا في آخر السطر ، ففي هذه الحالة يضرب على الأول ويستبقى الثانى . أما إذا
وقع أحدهما في آخر سطر والآخر في أول السطر الذى يليه فالأولى أن يضرب
على الذى في آخر السطر . فإن تكرر للمضاف والمضاف إليه أو للموصوف
والصفة ونحوه روى اتصالهما وذلك بأن يضرب على الأول فى المضاف
وللموصوف ، وعلى الآخر فى المضاف إليه والصفة ، لأن مراعاة الفهم أولى
من مراعاة تحسين الصورة فى الخط (٢) » .

وكانت الكلمات للنسبة تضاف أحياناً فى مكانها بين السطور
إذا كانت لا تتجاوز كلمة أو كلمتين ، وأحياناً أخرى كانت تضاف فى مكانها
وتذكر مرة أخرى فى الهامش الخارجى فى مقابل السطر الذى أضيفت فيه .
أما إذا كان الكلام للنسب أكثر من أن تتحملة الفراغات الموجودة ، فقد

(١) تذكرة السامع والمتكلم ، ص ١٩٢

(٢) تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى ، ص ١٥٢

كان النظام للتبع في مثل هذه الحال هو أن يضاف في الحاشية أو الهامش الخارجى ، وذلك بأن يخط من موضع سقوطه في السطر خط صاعد معطوف بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الهامش ، وهو ما يعرف بالتخرج على الحاشية أو اللحق (١) .

وكانت نهاية المخطوط تميز عادة بعبارة تفيد تمامه أو إتياعه بأجزاء أخرى وبعد ذلك يأتى اسم النسخ وتاريخ النسخ محددًا باليوم والشهر والسنة (٢) .

ولم تكن أوراق المخطوط فى القرون الأربعة الأولى للهجرة تخضع لأى نوع من الترقيم ، ولكى لا يضطرب ترتيبها أو تختلط على القارىء أو المجلد ، بدأوا منذ القرن الخامس يكتبون الكلمة الأولى من كل ورقة فى ذيل الورقة التى تسبقها تحت آخر كلمة من السطر الأخير فيها وهو ما يعرف بالتعقيبات . وبعد ذلك بدأ ترقيم الأوراق ثم ترقيم الصفحات .

وكان المخطوط لا يُقرأ ولا يُسمع ولا يُعارض ولا يُجاز للقراءة أو السماع أو النسخ إلا أثبت ذلك بأوله وآخره . وكثيرا ما كانت الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من المخطوطات لا تتسعان لاستيعاب كل السماعات والقراءات والإجازات والمعارضات والتعليكات وما قد يثبت عليها من فوائد أو قول ، فكانت تلك البيانات تسجل على أوراق منفصلة تضاف فى أول المخطوط وآخره كما هو الحال فى نسخة دار الكتب من رسالة الشافعى . وكانت الإجازات تتضمن اسم المجيز واسم الكتاب وعدد أجزائه وتاريخ الإجازة

(١) انظر على سبيل المثال مخطوطة كتاب .مشكل القرآن الموجودة بدار الكتب برقم ٦٦٣ تفسير .

(٢) من أفضل الأمثلة على ذلك خاتمة مخطوطة كتاب المشكل سالفة الذكر .

واسم كاتبها . أما السماعات فكانت تتضمن اسم القارىء وأسماء السامعين والقدر المسموع وتاريخ السماع واسم كاتبه^(١) . ولهذه التمايكات والسماعات والقراءات والإجازات أهمية بالغة بالنسبة لمن يؤرخون للمخطوط العربى ، فهى تساعد أولاً على تحديد تاريخ المخطوط فى حالة عدم وجوده ، وهى بعد ذلك تكشف لنا عن قيمة المخطوط ومدى اهتمام الناس به فى عصره وبعد عصره بل ومدى الثقة به وبمؤلفه . وهى آخر الأمر تعطينا صورة للحركة العلمية ومدى انتشار الثقافة بل ومدى عمقها فى عصر من العصور .

وبانتهاء كتابة المخطوط يأتى دور اللمسات الفنية . وهنا تجدر الإشارة إلى أن العرب قد عرفوا الكتب المصورة عن طريق الفرس منذ أوائل القرن الثانى . فالمسعودى يحدثنا أن كتاباً فارسياً فيه صور سبعة وعشرين من الملوك السامانيين قد وجد فى خزائن ملوك فارس سنة ١١٣ هـ وقيل لهشام بن عبد الملك من الفارسية إلى العربية^(٢) . ولا شك أن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب الفارسية للصورة التى عرفها العرب فيما بعد وعلى رأسها كتاب كلىة ودمنة قد فتحت أمامهم آفاقاً جديدة لزخرفة الكتاب العربى وتزويده بالصور والرسوم .

وكتاب « كلىة ودمنة » بالذات يحمل فى سطوره ما يؤكد أنه كان مصوراً حين ترجمه عبد الله بن المقفع فى زمن أبى جعفر المنصور (للتوفى سنة ١٥٨) ، فنحن نقرأ فيه أنه « قد ينبغى للناظر فى كتابنا هذا ألا تكون

(١) انظر على سبيل المثال إجازة نسخ فى ختام رسالة الشافعى مؤرخة بسنة ٢٦٥ هـ ، ومما فى آخر كتاب سر النحو مؤرخ بسنة ٣٥١ هـ .

(٢) التنبيه والإشراف ، ص ٩٣ .

غايته التصفح لتزاويقه» وأن من أغراض الكتاب «إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنساً لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور» ، و «أن يكون على هذه الصفة فيتخذها الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً»^(١) .

وإذن فقد كان هذا الكتاب من أوائل الكتب للمصورة في اللغة العربية إن لم يكن أولها على الإطلاق . وقد ذكره ابن طولون الصالحى ضمن الكتب للمصورة ، وأضاف أنه وقف على كتاب «العرس والعرايس» للجاحظ وكتاب «الديارات» للشابشتى مصورين^(٢) . والكتاب الأول يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث ، بينما يرجع الكتاب الثانى إلى القرن الرابع .

ولسنا نشك في أن الكتب الجغرافية كانت هي الأخرى تحلى بالخرائط والرسوم ، ويكفى أن قرأ فى كتاب «أحسن التقاسيم» للمقدسى (للتوفى سنة ٣٨٠ هـ) أو كتاب «للمسالك والممالك» لابن حوقل (وهو معاصر للمقدسى) لتبين صدق ما نذهب إليه . فالمقدسى — مثلاً — يقول فى مقدمة كتابه : «ولم نذكر إلا مملكة الإسلام حسب ، وقد قسمناها أربعة عشر إقليماً ، وأفردنا أقاليم العجم وأقاليم العرب ، ثم فصلنا كور كل إقليم ونصبتنا أمصارها وذكرنا قصباتها وربتنا مدنها وأجنادها بعد ما مثلناها ورسمنا

(١) كلية ودمنة ، طبعة التجارية ، ص ١٤٠ ، ١٤٤

(٢) ذخائر القصر وتراجم نبلاء العصر ، ورقة ٣٥ ب من مخطوطة دار

الكتب رقم ١٤٢٢ تاريخ تيمور .

حدودها وخطوطها ، وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصنرة وبحارها للساحلة بالخضرة وأنهارها للمعروفة بالزرقة وجبالها للمشهورة بالغبرة ليقرب الوصف إلى الأفهام ويقف عليه الخالص والعام^(١) . ونمضي مع النص فتطالعنا من حين إلى حين عبارة « وهذا شكل الإقليم ومثاله » لتؤكد لنا من جديد أن اللقضى حين ألف كتابه رسم لكل إقليم خريطة توضيحية في موضع الحديث عنه ، وضاعت الخرائط وبقيت النصوص كشواهد القبور دليلا على شيء كان موجوداً ثم اندثر .

ولم تكن الكتب الجغرافية وحدها هي التي توضح بالخرائط والصور ، وإنما كانت كتب الهيئة هي الأخرى تشتمل على صور للسكواكب والنجوم وكتاب « صور السكواكب » للصوفي وهو من علماء القرن الرابع يشير إلى تلك الحقيقة حتى من مجرد العنوان .

ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لكتب الهندسة والبيطرة وعلوم النبات ، فلم تكن حاجة تلك الكتب إلى الصور أقل من حاجة كتب البلدان والفلak .

ويبدو أن الكتب العربية للمصورة كانت قد كثرت ووجد لها معجبون يحرصون على اقتنائها قبل أن يبلغ القرن الرابع الهجري نهايته . فالمقرئ يحدّثنا أن الوزير اليازورى (في النصف الأول من القرن الخامس) « كان أحب ما إليه كتاب مصور أو النظر إلى صورة أو تزويق^(٢) » . وأكثر من هذا فلقد ظهرت في المجتمع العربي طبقة جديدة هي طبقة المصورين

(١) أحسن التقاسيم ، طبعة بريل ، ص ٩

(٢) خطط المقرئى ، طبعة يولاقي ، ج ٢ ص ٣١٨

أو المزوقين ، تمارس عملها في الكتب وفي غيرها ، وبلغت تلك الفئة من الكثرة ومن اهتمام الناس بها إلى حد أن صنت الكتب في طبقات أصحابها ، فالمقرىزى يذكر لنا فيما ينقله عن القضاعي (المتوفى في القرن الخامس) كتابا بعنوان «ضوء النبراس وأنس الجلاس في أخبار المزوقين من الناس»^(١). وهذا الكتاب الذي لم يبق لنا منه إلا عنوانه يؤكد ما نذهب إليه من أن الصور قد عرفت طريقها إلى الكتب العربية قبل نهاية القرن الرابع الهجري وإن لم يبق لنا الزمن منها شيئا نستطيع أن نخضعه للدراسة والبحث .

ولم يعرف العرب المصورات فحسب ، وإنما عرفوا المذهبات أيضاً منذ القرن الثالث الهجري على أقل تقدير . ولكن فن التذهيب بصفة خاصة ارتبط منذ نشأته عندهم بالمصاحف^(٢) ، وظل هذا الارتباط قائماً طوال القرون الأولى للإسلام ، فصاحب الخطط يحدثنا عن أعداد هائلة من المصاحف المذهبة كانت في خزانة العزيز الفاطمي^(٣) .

ونتيجة لخلو المصاحف من الزخارف والرسوم كان تذهيبها عادة يتخذ صورة الكتابة بماء الذهب . أما في الكتب فقد كانت الزخارف والرسومات في الهوامش وبدايات الفصول هي الميدان الذي يمارس فيه المذهبون قنهم . وكان التذهيب لا يمتد إلى الخط إلا في نطاق ضيق محدود لا يتجاوز كتابة العناوين .

ولم يقتصر عمل المذهبين العرب على تذهيب صفحات المخطوطات

(١) الخطط ، ج ٢ ص ٣١٨

(٢) يذكر ابن النديم في الفهرست ص ١٤ أسماء مذهبين المصاحف بعضهم في عصره وبعضهم الآخر قبل عصره .

(٣) خطط المقرىزى ، ج ١ ص ٤٠٨ ، ج ٢ ص ٢٥٠

وإنما تجاوزها إلى تذهيب جلودها أيضاً ، وبلغوا في هذا الفن مبلغاً عظيماً من التفوق شهدت لهم به أوربا في العصور الوسطى فمضت تترسم خطاهم وتسير على هدايتهم ، وكان فن التذهيب « أول الفنون التي تعلمها الإيطاليون من أساتذتهم المسلمون » كما يقول سفنددال^(١) .

وبانتهاء كتابة المخطوط وزخرفته يأتي دور التجليد وهو فن أخذته العرب في صورته البسيطة عن الأحباش ، ثم وجدوا عند أقباط مصر رقيقاً وازدهاراً في هذا المضمار فلم يجدوا بأساً من أن يقتبسوا من قنهم وينسجوا على منوالهم بعد أن دخلت مصر تحت راية الإسلام وأقبل أهلها يدخلون في دين الله أفواجا . ولقد تجلت مظاهر التأثير بالتجليد المصري في استعمال أوراق البردي المقوى في تغليف المصاحف والكتب وخاصة ما كان منها صغير الحجم ، بينما ظل الخشب هو المادة التي لا غنى عنها في تجليد المصاحف الكبيرة . وكانت ألواح الخشب هذه تحلى بألوان مختلفة من الزخارف وربما طعنت بالعظم والعاج .

وفي فهرست ابن النديم نجد ذكراً لسبعة من المجلدين على رأسهم ابن أبي الحريش الذي « كان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون^(٢) » . ومعنى هذا أن التجليد كان قد أصبح في زمن المأمون فناً مستقلاً عن غيره من فنون الكتاب ، وكان يحترفه رجال أولو خبرة ودراية .

ومع أن صناعة الجلود كانت موجودة ومزدهرة في مناطق مختلفة من الأرض العربية وعلى رأسها اليمن وعدن ومصر والطائف ، إلا أن الجلد لم يدخل في صناعة التجليد العربية إلا منذ أواخر القرن الثاني على وجه

(١) تاريخ الكتاب ، ترجمة محمد صلاح الدين حلمي ، ص ١٣٣

(٢) الفهرست ، ص ١٤

التقريب ، فاستعملت شرائط منه في لصق الكعبين أول الأمر ، ثم توسع في استعماله وبدأ التفتن في زخرفته بحيث يكتسب قيمة فنية في حد ذاته وبصرف النظر عن مضمون الكتاب . ويكفي أن نشير هنا إلى ما يذكره الخطيب البغدادي من أن كتب أصحاب الحلاج التي جمعت في أوائل القرن الرابع الهجري كانت « مبطنة بالديباج والحرير ، مجلدة بالأديم الجيد »^(١) .

بقيت كلمة أخيرة عن ترميم الكتب . وقد يبدو الحديث عن الترميم في مثل تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكتاب العربي شيئاً غريباً للوهلة الأولى ، ومع ذلك فمن الطبيعي جداً أن توجد صناعة ترميم الكتب في وقت لم تكن الطباعة قد عرفت فيه بعد ، ولم يكن استبدال نسخة بالية من الكتاب بنسخة أخرى جديدة أمراً هيناً كما هو الحال في عصر الطباعة . وعلى الرغم من أنه لم يبق لنا من آثار القرون الأربعة الأولى للهجرة دليل مادي على وجود تلك الصناعة ، إلا أننا نجد في ميزانية دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله في القاهرة سنة ٣٩٥ هـ بنداً « لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها »^(٢) . ومعنى ذلك أنه قبل نهاية القرن الرابع كان الكتاب العربي قد بدأ يتعرض للتلف سواء من كثرة الاستعمال أو من عدم معرفتهم بأساليب حفظ الكتب وصيانتها ، وكان العرب من جانبهم قد فكروا جدّياً في الأساليب التي يمكن أن يصلحوا بها بعض ما أفسده الدهر ، وأن يعالجوا بها ما أحدثه الحشرات وتقليب الأيدي في الكتب من تمزق وتآكل . وهذا في حد ذاته دليل على وعي مكتبي ممتاز ، ومظهر لما كان يحتله الكتاب في حياتهم من مكانة ، وما كان يحظى به من اهتمام كبير .

(١) تاريخ بغداد ، ج ٨ ص ١٣٥

(٢) خطط المقرئ ، ج ١ ص ٤٥٩

خاتمة :

وبعد :

فمن هذا العرض السريع للمخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري يتبين لنا أن تلك الفترة الأولى — على رغم ما يكتنفها من غموض وإبهام — كانت فترة خصبة في تاريخ المخطوط العربي . بل لعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنها أخصب الفترات في تاريخه على الإطلاق . وحسبها أنها شهدت جميع مراحل تطور الخط العربي والكتابة العربية حتى استوت في صورتها النهائية ، وأنها شهدت حركة التأليف والترجمة منذ نشأتها إلى أن بلغت قمة مجدها ، وشهدت بعد ذلك تطور صناعة الكتاب العربي من أبسط صورها إلى أن بلغت درجة معتدة من النضج الفني تجلت فيما كانت تتحلى به مخطوطات تلك القرون من صور وخرائط ، وما بلغت صناعة جلودها من دقة ومهارة وإبداع .

دراسة حول أقوال المؤرخين

عن أسباب الفتح الأيوبي لبلاد اليمن

بقلم محمد عبدالعال أحمد

يعتبر تاريخ الأيوبيين في اليمن من الموضوعات الهامة التي لم تحظ بنصيبها من الدراسة، ولقد كان الفتح الأيوبي لليمن يمثل حلقة من حلقات توحيد الجبهة العربية وتخليصها من الانقسامات الداخلية لمجابهة القوى الصليبية في الشام، وقام صلاح الدين بدور كبير في هذا المجال، فبعد أن تم له القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر، وجه جهوده لتوحيد الأمة العربية وتأمين حدودها، تمهيداً لخوض معركة فاعلة ضد الصليبيين، وكجزء من هذه الخطة جهز صلاح الدين أخاه تورانشاه في حملة الاستيلاء على بلاد اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م.

ولقد اختلف المؤرخون في بيان أسباب ودوافع الفتح الأيوبي لليمن؛ فيذكر ابن الأثير^(١) أن صلاح الدين كان متخوفاً من نور الدين محمود، ولهذا استقر رأيه على امتلاك بلاد النوبة أو اليمن لتكون ملجأ له ولأسرته إذا ما حاربهم نور الدين وطردهم من مصر. وقد نقل عن ابن الأثير كثير من المؤرخين^(٢).

(١) الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٧٣، ١٧٨

(٢) ابن واصل: مفرج الكروب ج ١ — ص ٢٣٧، ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب ص ٢٣٩، ابن خلدون: العبر ج ٥ ص ٢٨٦، العمري: مسالك الأبصار — مخطوط — ج ٢ ص ٤٩٢، ابن الوردي: تاريخه ج ٢ =

ولكن هذا القول لا يتفق مع ما ذكره ابن الأثير نفسه في موضع آخر من كتابه (١) حيث ذكر أن صلاح الدين استأذن من نور الدين لفتح بلاد اليمن فأذن له ، وإنه لمن المستبعد أن يستأذن صلاح الدين من نور الدين إذا كان قد قصد الخروج عن طاعته والوقوف ضده ، ورغم ما يقال عما كان بين صلاح الدين ونور الدين من خلافات بسبب تأخر صلاح الدين في القضاء على الدولة الفاطمية في مصر ، إلا أنه من غير المقبول أن يكون صلاح الدين قد لجأ إلى الاستيلاء على النوبة أو اليمن هرباً من نور الدين ؛ ذلك أن صلاح الدين مشهود له بالشجاعة النادرة والتضحية في سبيل الجهاد ضد الصليبيين عن عقيدة وإيمان « ولو علم نور الدين ماذا ادخر الله تعالى للإسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرت عينه ، فإنه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد للمشركين ، وقام بذلك على أكمل الوجوه وأتمها (٢) » .

= ص ٨٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٩ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ٥٢ ، ابن بهادر المؤمنى : فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر — مخطوط — ص ١٥ ، ابن الشحنة : روض المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر ص ٥ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ج ٣ ص ٥٧ ، الحزرجى : المسجد المسبوك — مخطوط — ص ١٧٦ ، الشرفى : اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣٢ (أ) ، الباز العريقى : مصر فى عصر الأيوبيين ص ٤٠ .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ١٧٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٣٧ هامش ٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ص ٣٤٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٢٨

ولهذا فإن قول ابن الأثير لا يقبله المنطق وتنفيه الوقائع ، خاصة وأنه — فيما يبدو — متهم في كثير من كتبه عن العلاقات بين نور الدين وصلاح الدين^(١) ، وإذا ما سلمنا جدلاً بصحة ما ذكره ابن الأثير لكان من المحتم أن يسحب صلاح الدين قواته من اليمن بعد زوال الأسباب التي ذكرها ابن الأثير ، وأعني بذلك وفاة نور الدين عقب قيام حملة اليمن بقيادة تورانشاه ابن أيوب بوقت قصير^(٢) ، وتخلص صلاح الدين مما كان يهدده من مخاطر من قبل نور الدين .

ولكن بدلاً من أن يستعيد صلاح الدين قواته من اليمن ليستفيد بها في تدعيم موقفه ضد الصليبيين ، واصل إرسال المزيد من الإمدادات إليها ، ضماناً لاستمرار تبعيتها للدولة الأم التي أصبح مركزها مصر .

أما أبو شامة^(٣) فينقل ما ذكره ابن أبي طى عن استغلال الشاعر اليمني عمارة لصدافته بتورانشاه ، وإقناعه له بالاستيلاء على بلاد اليمن ، وإغرائه بخيرات تلك البلاد وكثرة أموالها مع ضعف حكمها ، مما يسهل مهمة الفتح ، وتستطرد الرواية وتذكر أن هذا الإغراء قد وجد صدى له لدى تورانشاه ، لأنه كان كثير

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٣٧ هامش ٢ .

(٢) غادرت حملة تورانشاه الديار المصرية في مستهل رجب سنة ٥٦٩ هـ / فبراير ١١٧٤ م وتوفي نور الدين في ١١ شوال سنة ٥٦٩ هـ / ١٥ مايو ١١٧٤ م .

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢١٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٣٨ ، النويري : نهاية الأرب — مخطوط — ج ٢٦ ص ١١٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٤ ، العيني : عقد الجمان ج ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقي : الدر الثمين — مخطوط — حوادث سنة ٥٦٩ هـ ، المقرئ : السلوك ج ١ ص ٥٢ ، الخطط ج ٣ ص ٥٩ .

النفقات ، ولم يكن إقطاعه بمصر^(١) كافياً للوفاء بمتطلباته .

وليس هناك من شك في أن عمارة استغل معرفته التامة بأحوال اليمن في عصره للتأثير على تورانشاه ، وإغرائه بفتح اليمن تنفيذا لمؤامرة اشترك عمارة في تخطيطها مع بقايا الفاطميين في مصر للقضاء على الأيوبيين والعمل على إعادة الدولة الفاطمية^(٢) ، وقد اكتشفت المؤامرة بعد خروج الحملة إلى اليمن ، وتخلص صلاح الدين من مديريها وعلى رأسهم عمارة اليمني^(٣) .

(١) كان تورانشاه بن أيوب والياً على قوص قبل إسناد قيادة حملة اليمن إليه ، ويعتبر والي قوص من أعظم ولاية مصر وأجلهم . (ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف ص ١٧٤) وقد أطلق له صلاح الدين خراج قوص لمدة سنة للصرف منه على الحملة ، وكانت عدتها مائتي ألف وستة وستين ألف دينار (انظر ، أبوشامة : الروضتين ج ١ ص ٢١٧ ، العيني : عقد الجمان ج ٥٠ ص ٥٢٢ ، الدمشقي : الدر الثمين حوادث سنة ٥٦٩ هـ ، المقرئ : الحطط ج ٣ ص ٥٩ ، الذهب المسبوك ص ٧١) .

(٢) اتصل المتآمرون بآموري ملك بيت المقدس ، ووليم الثاني ملك صقلية ، وسانان رئيس الحشيشية ، واتفقوا على أن تقوم قواتهم بغزو مصر وقت أن يكون صلاح الدين بعيداً عنها في الشام ، وتورانشاه في جزء من الجيش الأيوبي في اليمن ، ومن ثم تسهل مهمة المتآمريين في القيام بثورة في القاهرة وقت الغزو الخارجي ، فلا تستطيع قوات الأيوبيين التصدي في وقت واحد للعدوان الخارجي والثورة الداخلية (انظر ، أبوشامة : الروضتين ج ١ ص ٢٢١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ٢٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٥ ، الدمشقي : الدر الثمين ، حوادث سنة ٥٦٩ هـ ، محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ص ٢٨ ، نظير حسان سعداوي : التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين ص ٤٢) .

Lane - Poole : Saladin, p. p. 124 - 128, A History of Egypt, p. p. 197 - 198, Kay : Yaman; its Early Mediaeval History, p. VII.

(٣) Derenbourg : Omara Du Yémen, vol. 2. p. 548.

هذا فيما يختص بدور عمارة في دفع وتشجيع تورا نشاء على فتح اليمن ،
أما فيما ذكر من أن إقطاع تورا نشاء لم يكن كافيا لتغطية متطلباته ، فمع التسليم
بكثرة نفقات تورا نشاء وإسرافه ، إلا أن ذلك ليس سببا مقبولا لتجهيز حملة
تكلفت مبالغ طائلة ، وقد كان في مقدور صلاح الدين أن يزيد من مخصصات
أخيه إذا كان هدفه من الحملة تحقيق مكاسب ذاتية له ، هذا بالإضافة إلى أن
صلاح الدين كان لا يزال تابعا لنور الدين وليس في استطاعته أن يجهز هذه
الحملة دون موافقة نور الدين واقتناعه بها ، هذا إلى جانب أن الظروف
في مصر كانت تحتم عليه عدم تشتيت قواته ، وبقائها للتصدي لبقايا الفاطميين
في مصر ، والمشاركة في الوقوف ضد القوى الصليبية .

أما ابن شداد^(١) فيذكر بأن سبب الفتح الأيوبي لليمن يرجع إلى ما كان
من قوة عسكر صلاح الدين وكثرة إخوته وقوة بأسهم ، وما بلغ صلاح الدين
من أمر ابن مهدي^(٢) وتغلبه على الكثير من بلاد اليمن ، وإقامته الخطبة لنفسه
دون بني العباس ، وزعمه انتشار ملكه حتى يملك الأرض كلها^(٣) .

(١) سيرة صلاح الدين ، المعروفة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ،
نشر الشيال ، ص ٤٦ .

(٢) قامت دولة بني مهدي على أنقاض دولة بني نجاح سنة ٥٥٤ هـ ،
ومؤسسها علي بن المهدي الحميري ، وقد استمرت هذه الدولة حتى قضى عليها
توران شاه بن أيوب سنة ٥٦٩ هـ . (عن دولة بني مهدي) انظر ، محمد عبد العال
أحمد : دولة بني أيوب في اليمن — رسالة ماجستير لم تطبع — ص ٣٣ — ٣٥
٣٨ — ٤١ — ٤٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٣ ، ج ٦ ص ١٦٤ —
١٦٥ ، أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢١٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ =

وفيا يختص بالشق الأول مما ذكره ابن شداد ، فمن المؤكد أن صلاح الدين كان في أشد الحاجة إلى كل جندي من جنوده ، ولم يكن يرمى إلى التخلص من إخوته بمدم بقوات لفتح بلاد يُشغلون فيها ، لمجرد تفادي منافستهم له ، في وقت يتحتم فيه وقوف إخوته إلى جانبه ومساندته ضد الصليبيين . وهكذا فإن إرسال حملة في مثل هذه الظروف لا بد وأن يكون لأسباب ودوافع هامة وقوية ، وليس لمجرد كثرة الإخوة وقوة البأس ، ولهذا نجد أن ما ذكره ابن شداد في هذا الصدد ليس له ما يدعمه (١) . أما فيما ذكره من أمر ابن مهدي فإنه وإن كان من بين الأسباب ، إلا أنه لم يكن وحده كافياً للقيام بهذه الحملة .

ويذكر الخزرجي (٢) نقلاً عن الجندی أن رجلاً من أهل اليمن يدعى ابن النساخ بعث برسالة إلى الخليفة العباسي في بغداد يشكو له فيها من ابن مهدي ،

= ص ٢٧٣ — ٢٧٤ ، العيني : عقد الجمان ج ٥٠ ص ٥٢٢ ، الخزرجي : طراز الزمن في طبقات أعيان اليمن ج ٢ ص ٤٤٠ ، المسجد المسبوك ص ١٧٤ — ١٧٥ ابن الديبع : قرّة العيون ص ٩٧ ، بنية المستفيد في أخبار مدينة زيد ص ٩ ب .
Marin : Histiore de Saldin, Tome I. p. 221.

(١) بدأ ابن شداد في ملازمة صلاح الدين اعتباراً من سنة ٥٨٤ هـ ، ولهذا كانت كتاباته عن صلاح الدين بعد ذلك التاريخ على أساس من المشاهدة (سيرة صلاح الدين المقدمة ص ١١) . أما الأحداث التي أوردتها ابن شداد عن الفترة السابقة ، فقد نقلها عن مصادر أخرى ، ولم يورد ابن شداد من أحداث الأيوبيين في اليمن سوى هذا السبب المتعلق بحملة توارنشاء على اليمن .

(٢) المسجد المسبوك ص ١٧٥ — ١٧٦ ، ابن الديبع : قرّة العين

ص ٩٧ .

وقبح سيرته وسوء عقيدته ، فلما وصلت الرسالة إلى الخليفة ، طلب من صلاح الدين تجهيز حملة إلى اليمن لقتال هذا الخارجى ، ولكن هذا القول بعيد عن الصواب ؛ ذلك أنه من الثابت تاريخياً أن رسالة ابن النساخ هذا كانت سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م ، أى بعد أكثر من أربعين عاماً من الفتح الأيوبي ، وكانت للشكوى من الإمام الزيدى عبد الله بن حمزة لاضطهاده فرقة المطرفية^(١) التى ينتمى إليها ابن النساخ ، وكانت هذه الشكوى من بين أسباب حملة الملك المسعود بن الكامل على اليمن سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م^(٢) ولم تكن للشكوى من ابن مهدى ، وهكذا فلم تكن حملة تورانشاه من نتائجها .

ولقد قيل إن الحملة كانت نجدة للشرىف قاسم بن غانم صاحب المخلاف

(١) المطرفية ، فرقة من الزيدية ، وكان قد وقع خلاف بينهم وبين الإمام عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ) ، فحكم الإمام بتكفيرهم وجواز سبهم واستباحة أموالهم إن لم يتركوا مبتدعاتهم . وفى سنة ٦١٠ هـ سانداهم الشرىف الزيدى السيد محمد بن منصور الشرقى — من نسل الإمام الهادى — وأنكر على الإمام ما وقع منه من تكفيرهم ، ودارت بين الطرفين حروب يطول ذكرها . وفى سنة ٦١١ هـ نكل بهم الإمام عبد الله بن حمزة ، وأخرب مساجدهم ودورهم فأنشأ الفقيه اليمنى حسن بن محمد بن النساخ المطرفى رسالة وبعثها إلى الخليفة العباسى فى بغداد ، وكانت هذه الرسالة من بين الأسباب التى أدت إلى قيام حملة المسعود بن الكامل لتعزيز موقف الأيوبيين فى اليمن (انظر ، محمد بن يحيى زبارة . أئمة اليمن ج ١ ص ١٣٢ — ١٣٦) .

(٢) عن حملة المسعود على اليمن (انظر ، بحث « دولة بنى أيوب فى اليمن » الفصل الثامن) .

السليمانى^(١) للثأر من ابن مهدي لإغارته على مخالفيهم^(٢) ، وقتله عددا من أهل الخلاف على رأسهم الشريف وهاس بن غانم ، وأن صلاح الدين استجاب لدعوة الشريف قاسم^(٣) الذي عجز عن مقاومة ابن مهدي والثأر

(١) ينسب الجندي الخلاف السليمانى إلى الأشراف بنى سليمان (السلوك فى طبقات العلماء والملوك — مخطوط — ج ١ لوحة ١٥٠ ، فى حين ينسبه الواسى إلى سليمان بن طرف — عامل بنى زياد على عثر — (تاريخ اليمن ص ١٥١) ويتنسب بنو سليمان إلى موسى بن عبد الله بن الحسين بن الحسن ابن طى بن أبى طالب ، وكانوا قد تغلبوا على مكة وأسسوا فيها دولة السليمانيين سنة ٣٠١ هـ . ثم هزمهم المواسم سنة ٤٥٤ هـ وطردهم منها ، فزحوا إلى اليمن ، ونزلوا الخلاف السليمانى (عمارة . تاريخ اليمن ص ٥ — ٦ ، ١٢ ، محمد جمال الدين سرور . النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ١٠ — ١١) ولا تزال ذريتهم معروفة فى تهامة عسير إلى اليوم (حسين الهمداني ، حسن سايمان محمود . الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ص ١٥٢) .

(٢) المخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكورة لأهل العراق والرساتيق لأهل الجبال والطساسيج لأهل الأهواز (ابن منظور . لسان العرب المجلد التاسع ص ٨٤) ويقول الفيروز ابادى : إن الخلاف هو الرجل الكثير الاخلاف (القاموس المحيط) ويذكر الزيدى أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً ، وكثروا فيه ، اتفق رأيهم على المسير فى نواحي اليمن ليختار كل بنى أب موضعاً ، فكانوا كلما اختار بعضهم ناحية تخاف بها عن سائر القبائل ومماها باسم تلك القبيلة المتخلفة فيها ، فسموها مخاليف لتخلف بعضهم عن بعض فيها (تاج العروس . ج ٦ ص ٩٧) .

(٣) ذكرت بعض المصادر أن الشريف قاسم بن غانم إنما لجأ إلى الخليفة العباسى الذى كتب بدوره إلى صلاح الدين لنجدة الشريف اليمنى (انظر ، باخرمة قلادة النحر — مخطوط — ج ٢ ص ٧٥٥ ، يحيى بن الحسين . أبناء الزمن — مخطوط — ص ٥٤ ، الكبسى . اللطائف السنية — مخطوط — ص ٢٧ (أ) =

منه^(١). وكما سبق أن ذكرنا من أن ابن مهدي كان من بين أسباب الحملة ، إلا أننا إذا أردنا تحقيق ذلك ، نرى أن مهاجرة ابن مهدي لأشراف المخلاف السليمانى ومقتل الشريف وهاس بن غانم كان سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٥ م . ولقد كان على أشراف المخلاف باعتبارهم علويين أن يلجأوا للخليفة الفاطمى بمصر ، وليس إلى الخليفة العباسى فى بغداد . أما عن القول من أن الاستغاثة كانت بصلاح الدين ، فإنه من الثابت أن صلاح الدين لم يكن قد جاء إلى مصر حتى ذلك التاريخ ، وأن تقلده الوزارة للخليفة العاضد كان سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م — أى بعد سنوات ثلاث من مقتل الشريف وهاس ، وحتى إذا ما سلمنا بأن طلب النجدة يمكن أن يكون بعد مرور هذه السنوات على الأحداث الداعية إليها ، فإن مركز صلاح الدين وقتها لم يكن يسمح له بإرسال حملة إلى اليمن باعتباره تابعا لنور الدين محمود ، ومستولا عن حماية مصر من الخطر الصليبي والمؤمرات الداخلية فيها ، بالإضافة إلى أنه كان يمهّد للقضاء على الخلافة الفاطمية . ولهذا فإن قيام صلاح الدين بإرسال حملة اليمن سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م وبعد أكثر من ثمانى سنوات من مقتل الشريف وهاس بن غانم السليمانى لمما يؤكد أن الحملة فى أساسها لم تكن استجابة لدعوة الشريف السليمانى .

وعلى الرغم من الشك الذى يحيط بروايات المؤرخين ، فإنه لى تعرف

= الجرافى . المقتطف ص ٧٣) ويذكر سبط ابن الجوزى أن الحملة كانت استجابة لدعوة أعيان اليمن (مرآة الزمان ص ٨ ص ٣٠٠) ويقال إن أهل تهامة هم الذين بشوا إلى صلاح الدين يطلبون منه نجدهم مما أصابهم من ابن مهدي (يحيى ابن الحسين . أنباء الزمن ص ٥٤) .

(١) الخزر جى . المسجد ص ١٧٦ — ١٧٧ ابن الديع . قرة العيون ص ٩٨ ، الشرقى . اللآلى المضية ج ٢ ص ١٣١ ب .

على الأسباب والدوافع التي حدث بصلاح الدين إلى إرسال حملة اليمن ، يجب أن نتعرف أولاً على سياسة صلاح الدين وتتبناها ؛ فلقد كان يهدف إلى تحقيق هدفين رئيسيين .

أولهما : مجاهدة الصليبيين في الشام واسترداد الأرض السليبية منهم .
وثانيهما : تحقيق سيادة المذهب السني . وما يتبع ذلك بالضرورة من القضاء على النفوذ الشيعي .

ولكي يتمكن صلاح الدين من التخلص من الصليبيين في الشام ، رأى أنه لا بد من توحيد الجبهة العربية الإسلامية ، والعمل على تقويتها وتدعيمها ، وتأمين حدودها . كما كان عليه من أجل تحقيق السيادة العباسية ومذهبها السني أن يقضى على الخلافة الفاطمية بمصر ، ويتخلص من النفوذ الشيعي أينما وجد .

وإنه لما يؤكد هذه السياسة ويوضحها تلك الرسالة^(١) التي بعثها صلاح الدين إلى الخليفة العباسي ، يعدد له فيها فتوحاته وانتصاراته في مصر والشام والمغرب ، ويطلب منه تقليداً بتوليته على هذه البلاد . ومما أبرزه في هذه الرسالة استيلاؤه على « قلعة بئر أبيلة » ، كان العدو قد بناها في بحر الهند (البحر الأحمر) وهو للسلوك منه إلى الحرمين واليمن . . . » وبين ما كان « من أمر ابن مهدي الضال الملحد ، وقال : فأنهضنا إليه أخانا بعسكرا — بعد أن تسكفنا له نفقات وأسلحة رائعة — وسار فأخذناه والله الحمد ، وأنجز الله فيه القصد » . وبعد أن استعرض صلاح الدين فتوحاته وحروبه ،

(١) عن رسالة صلاح الدين للخليفة العباسي (انظر ، أبو شامة :

الروضتين ج ١ ص ٢٤١ — ٢١٣ ، وراجع

Arrold : The Caliphate. p. 85.)

ألقى الضوء على العوامل الرئيسية التي تحرك سياسته ، فقال : « وللمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ويؤكد الدعوة ، ويجمع الأمة . . . ويفتح بقية البلاد وأن يطبق بالاسم العباسي كل ما تطبقه المهاد » . وهكذا كانت هذه العوامل وحدها هي التي كانت تحرك سياسة صلاح الدين وتحكم تصرفاته .

وعلى ضوء ما تقدم نجد أن حملة تورانشاه على النوبة سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م كانت من أجل مطاردة بقايا الجيش الفاطمي من السودانيين والنوبيين — الذين لجأوا إلى جنوب مصر — وأخذوا يعيشون في الأرض فساداً ، ويتحينون الفرص للإيقاع بدولة صلاح الدين والقضاء عليها . ولهذا استهدفت هذه الحملة تعقبهم بغية القضاء عليهم وتطهير جنوب مصر منهم وتأمين حدود البلاد من جهتهم .

أما حملة قراقوش على المغرب سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م فقد ذكرت للمصادر أنها كانت من أجل تحقيق ما يشاع عن ثروة المغرب ، وأن يقيم تقي الدين عمر — ابن أخى صلاح الدين — دولة له فيها^(١). ولكن الأحداث تشير إلى أن هذه الحملة كانت من أجل تحقيق سيادة المذهب السني ، ومساعدة بني غانية — للموالين للعباسيين — ضد أعدائهم الموحدين^(٢) . ومن ناحية أخرى ، فإن قيام دولة الموحدين بالمغرب وخلعهم الطاعة العباسية ، وإقامتهم خلافة مستقلة ، ورفضهم معونة صلاح الدين ، كل ذلك لما يشكل خطراً

(١) العيني : عقد الجمان > ٥٠ ص ٥٨٥ ، نظير سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ص ٤١ .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب (بحث فى مجلة كلية الآداب — جامعة الإسكندرية — المجلد ٦ و ٧ سنة ٥٢ — ٥٣) ص ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ .

على مصر والخلافة العباسية . ولهذا كان لابد من تأمين حدود مصر الغربية التي سبق للفاطميين أن هددوا مصر منها ، والتي استطاع جوهر الصقلي أن يستولى على مصر من ناحيتها ، ويقم فيها الدولة الفاطمية التي قفى عليها صلاح الدين .

أما حملة اليمن سنة ٥٦٩ هـ ، ١١٧٤ م وأسبابها ودوافعها الحقيقية ، فترجع إلى رغبة صلاح الدين في تحقيق سيادة المذهب السني ؛ بالقضاء على دولة بني مهدي الخارجى في زبيد ، والتخلص من بقايا النفوذ الشيعى في عدن وصنعاء بعد أن أصبحت اليمن مركزاً للدعوة الشيعية عقب القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر . ومن ناحية أخرى ، فقد كان الفتح الأيوبي لليمن ضرورة حتمتها وحدة الجبهة العربية الإسلامية من أجل الوقوف أمام الخطر الصليبي ، كإحقق الاستيلاء على تلك البلاد تأمين الحدود من ناحية هذه الجبهة ، والسيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر^(١) والعمل على منع أية محاولة صليبية للاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة الإسلامية^(٢) ، والقضاء على أى تفكير صليبي في الاتصال بالحبشة للمسيحية أو تسرب الفكرة الصليبية في البحر الأحمر جنوباً إلى الأحباش ، مما قد يؤدي إلى زيادة متاعب صلاح الدين .

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية - ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) لقد كان الصليبيون يفكرون في حشد أساطيل عظيمة من البحر الأحمر — عن طريق أيلة — بقصد الإغارة على الحجاز وقبر الرسول . وإن قيام البرنس أرناط بحملته في البحر الأحمر سنة ٥٧٢ هـ / ١١٨١ م وقصده الأماكن المقدسة ، لهو أكبر دليل على ذلك . وقد تمكن صلاح الدين من إحباط هذه المحاولة الجريئة (عن حملة أرناط ، انظر ، ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ٣٢٦ ، أبو شامة : الروضتين - ٢ ص ٣٦-٣٧ ، ابن واصل : مفرج =

تلك هي أسباب ودوافع الفتح الأيوبي لليمن^(١) ، كما أسفرت عنها هذه الدراسة وأرجو من الله التوفيق .

= الكروب > ٢ ص ١٢٧ — ١٣١ ، ابن جبير : الرحلة ص ١٢٦ — ١٣٠ ، الشيال : تاريخ مصر الإسلامية > ٢ ص ٥٨ — ٥٩ ، الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين ص ٦٩ — ٧٠ ، سعداوي : التاريخ الحربى المصرى ص ١٤٠ — ١٤٤ .

Kammerer : La Mer Rouge. Vol. 1.P.P. 60 - 73.

Lane Poole : Saladin' p. 125.

Lamb : The Flame of Islam p. 59.

De Gaury : Rulers of Mecca. p.p. 69 ff.

Wiet (G) Histoire de La Nation Egyptienne (L'Egypte Arabe) p. 322 - 324.

(١) لقد تمكنت الحبشة — قبل الإسلام — من احتلال بلاد اليمن وجعلتها ولاية حبشية (ى . هل الحضارة العربية ص ٦) وكان الفضل في ذلك إلى المعونات البيزنطية . ولقد استطاع أبرهة أن يتقدم إلى مكة (بركلان : تاريخ الشعوب الإسلامية > ١ ص ١٤ و ١٥) ولكن ما إن دخلت مصر والشام في الدولة الإسلامية حتى فقدت الحبشة حليفها في الشمال ، وبدأ الضعف يدب فيها ، حتى أصبح ساحلها الشرقى موطناً للهجرات اليمنية (الحيمى : سيرة الحبشة ص ٦٦) . وهكذا فقد كان استيلاء صلاح الدين على اليمن تحقيقاً للسيطرة على الطرف الجنوبي للبحر الأحمر ، ومنعا للأخطار التى قد تهدد الأماكن المقدسة الإسلامية من الصليبيين . وعلى الرغم من عدم وجود ما يشير إلى حدوث اتصال صليبي بالأحباش إلا أنه كان من المحتمل حدوث ذلك لو قدر لحملة أرناط أن تنجح (انظر ، بحث «دولة بنى أيوب باليمن» ص ٥٩ و ٩٢ و ٩٣) .

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

ابن بهادر المؤمنى ، محمد بن محمد (القرن التاسع الهجرى)
— فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر (جزآن) مخطوط بدار الكتب

رقم ٢٢٩٩ تاريخ .

الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
— السلوك فى طبقات العلماء والملوك (٣ أجزاء) مخطوط بدار الكتب

رقم ٩٩٦ تاريخ .

الخزرجي ، أبو الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م)
— طراز الزمن فى طبقات أعيان اليمن (جزآن فى مجلد) . مخطوط
بدار الكتب رقم ١٢٦٥٢ تاريخ .

— المسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك . مخطوط بمكتبة بلدية
الإسكندرية رقم ١٢٦٥ ب .

الدمشقي ، بدر الدين محمد بن أبي بكر بن قاضي شهاب (ت ٨٢٤ هـ / ١٤٦٩ م)
— الدر الثمين فى سيرة نور الدين . مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية
رقم ١٣٣٦ ب .

ابن الديبع ، أبو عبد الله عبد الرحمن بن على (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٢ م)
— بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد . مخطوط بدار الكتب رقم
١١ م تاريخ .

— قرة العيون في أخبار اليمن الميمون . مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية
رقم ١٨١٩ ب .

الشرفي ، أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥ هـ / ١٦٤٥ م)
— اللآلئ المضية في أخبار أئمة الزيدية . مخطوط بمكتبة الجامع الكبير
بصنعاء .

العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)
— عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مخطوط مصور بدار الكتب
(٦٩ مجلدا) رقم ١٥٨٤ تاريخ .

العمرى ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
— مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (٢ ج) . مخطوط بدار الكتب
رقم ٥٥٩ معارف عامة .

الكبسي ، محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م)
— اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية . مخطوط بدار الكتب
رقم ٤١٦٣ تاريخ .

باخرمة ، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي (ت ٩٤٧ هـ /
١٥٤٠ م)

— قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (٦ مجلدات) . مخطوط ١٦٧ تاريخ
النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
نهاية الأرب في فنون الأدب (٣١ جزءا) مخطوط مصور بدار الكتب
رقم ٥٤٩ معارف عامة .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١٠٠٥هـ / ١٦٩٣ م)
أنباء الزمن في تاريخ اليمن . مخطوط بدار الكتب رقم ١٣٤٧ تاريخ .

ثانياً : المطبوعات :

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي (ت ٦٣٠هـ / ١٢٢٨ م)

— الكامل في التاريخ (١٢ جزءاً) . القاهرة ١٣٠١ هـ

بروكلان ، كارل

— تاريخ الشعوب الإسلامية . الطبعة الثانية . بيروت ١٩١٣ .

ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م)

— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٣١

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتامي (ت ٦١٤هـ / ١٢١٢ م)

— الرحلة ، تحقيق الدكتور حسين نصار . القاهرة ١٩٥٥

الجراقي ، القاضي عبد الله بن عبد الكريم

— المقتطف في تاريخ اليمن . القاهرة ١٩٥١

جمال الدين الشيال (الدكتور)

— تاريخ مصر الإسلامية ١٩٦٢ .

حسين الهمداني وحسن سليمان محمود

— الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن . القاهرة ١٩٥٥

الحيمي ، الحسن بن أحمد

— سيرة الحبشة ، نشر الدكتور مراد كامل القاهرة ١٩٥٨

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٨ م)

— العبر وديوان المبتدأ والخبر . بولاق ١٢٨٤ هـ

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

— وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٦ أجزاء) . القاهرة ١٩٤٨ .

زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى الحسنى الصنعاني

— أئمة اليمن ، تعز ١٩٥٢ .

الزبيدي ، السيد محمد المرتضى (ت ١٢٠٥ هـ / ١٢٩٠ م)

— تاج العروس في شرح القاموس ، ١٣٠٦ — ١٣٠٧ هـ .

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي (ت ٦١٤ هـ /

١٢١٢ م)

— مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج ٨ . حيدر آباد ، الهند ١٩٥١ .

سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور)

— العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف بن يعقوب الموحدي بمجلة

كلية الآداب بالإسكندرية المجلد ٧ و ٦ .

السيد الباز العريني (الدكتور)

— مصر في عصر الأيوبيين . القاهرة ١٩٦٠ .

أبو شامة ، شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م)

— كتاب الروضتين في أخبار الدولتين . القاهرة ١٢٨٧ هـ .

ابن الشحنة ، محب الدين أبي الوليد محمد بن كمال محمد الحلبي (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)

— روض المناظر في أخبار الأوائل والأواخر — مطبوع على هامش
الجزء التاسع من تاريخ ابن الأثير . القاهرة ١٢٩٠ هـ .

ابن شداد ، القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن نافع (١٢٣٤/٦٣٢ هـ)
— النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الدكتور الشيال ، ١٩٦٤

ابن العديم ، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)

— زبدة الحلب من تاريخ حلب . دمشق ١٩٥٤

عمارة ، أبو الحسن نجم الدين الحكيم (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م)

— تاريخ اليمن ، لندن ١٨٩٢

العمري ، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله
(ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)

— التعريف بالمصطلح الشريف . القاهرة ١٣١٢ هـ .

أبو الفدا ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

— المختصر في أخبار البشر (٤ أجزاء) الاستانة ١٢٨٦ هـ

الفيروزابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م)

— القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

— البداية والنهاية (١٤ جزءا) . القاهرة ١٣٤٨ هـ — ١٣٥٨ هـ

محمد جمال الدين سرور (الدكتور)

— النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب . القاهرة ١٩٦٤ .

محمد عبد العال أحمد

— دولة بنى أيوب فى اليمن ، رسالة ماجستير كلية الآداب —

جامعة الإسكندرية ١٩٦٨

محمد مصطفى زيادة (الدكتور)

— حملة لويس التاسع على مصر وهزيمة فى المنصورة . القاهرة ١٩٦١

للقرىزى ، تقى الدين أحمد بن على (٨٨٤٥ / ٤٤١ م)

— الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر

الدكتور الشيال ، ١٩٥٥

— السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور زيادة ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ .

— المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار (٤ أجزاء) . القاهرة

١٢٢٤ — ١٣٢٦ هـ

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٨٧١١ / ١٣١١ م)

— لسان العرب . بيروت ١٩٥٦ .

ابن واصل ، جمال الدين بن سالم (ت ٩٦٧ / ١٢٩٢ م)

— مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . نشر الدكتور الشيال ،

١٩٥٣ — ١٩٦٠

ابن الوردى ، زين الدين أبو حفص عمر بن اللفظ (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨ م)

— تاريخ ابن الوردى (جزأان) القاهرة ١٢٨٥ هـ .

بجى بن الحسين بن القاسم بن محمد (ت ١١٠٥ / ١٩٦٣ م)

— غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى — تحقيق الدكتور سعيد عاشور

— ١٩٦٨ .

- Arnold (T. W.) : The Caliphate. Oxford, 1924.
- De Gaury (G.) : Rulers of Mecca. London, 1951.
- Derenbourg (H.) : Oumara du Yémen, sa vie et son œuvre 2 vols.
Paris, 1897 - 1902.
- Kammerer (A.) : La Mer Rouge. Le Caire 1929.
- Kay (H. C.) : Yaman; its early Mediaeval History. London,
1892.
- Lamb (H.) : The Crusades; The Flame of Islam. London,
1931.
- Lane-poole (st.) : A history of Egypt in the Middle Ages.
London, 1936.
- Saladin and the Fall of The Kingdom of
Jerusalem. London 1898.
- Marin (M.) : Histoire de Saladin; Sultan D'Egypte et Syrie.
- Wiet (G.) : Histoire de la Nation Egyptienne. Vol. I V
(L'Egypte Arabe.) Paris, 1926.

حاشيتان خفيتان على

كتاب المخطوطات العربية

مخطوطتان منسوبتان إلى أبي عبيدة خطأ

الدكتور زهاد الموسى

يستوى لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، فى المكتبة العربية ، فهرست من التواليف طويل لافى ، يمتاز به الرجل ويفوق ؛ فقد بلغت تصانيفه للمائتين واستوعبت علوم العرب فى القرن الثانى .

وليس بين أيدينا ، حتى الآن ، من تواليف الرجل غير خمسة : مجاز القرآن ، وتقائض جرير والفرزدق ، والخليل ، وتسمية أزواج النبي (ص) وأولاده ، والعققة والبردة . . . ونسخة مشوشة من مقاتل الفرسان بالمتحف البريطانى . ولا يزال ثلث تصانيفه مجهول العناوين ؛ فقد استقام لى ، فى محاولة تحقيق شاملة ، أن أقف على عنوانات ١٣٣ من تأليفه لم ينكشف لى ، على طول البحث واستيعابه ، غيرها .

وهذه لمحة ، من نظرة شاملة إلى نصيب مكتبة الرجل من جهود المحدثين ، لمحة أريد بها إلى تفى ما وقع من خلطٍ فى نسبة بعض للتؤلقات إلى أبي عبيدة ، سعياً فى تجريد مكتبة الرجل وضبطها وتحقيق عنوانات تواليفها :

١ — طبقات الشعراء :

مخطوط نسب إلى أبي عبيدة حيناً من الدهر ، فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وأصل هذه النسبة — فيما أقدر — إشارة بل إشارات أوردها لويس شيخو في شعراء النصرانية .

فقد قال شيخو بعد ترجمة وجيزة للأخنس بن شهاب التغلبي ، وبعد أن أثبت ما جمع من قصيدته البائية المشهورة : « تلخيص هذه الترجمة عن كتاب طبقات الشعراء لأبي عبيدة ، وعن كتاب شعر قديم ، وكلاهما خط قديم وعن معجم البلدان لياقوت ، والحماسة »^(١) .

ثم ذكر شيخو طبقات الشعراء ، غير مرة ، على هذا النحو : طبقات الشعراء لأبي عبيدة ، مشيراً إلى أنه نقل عنه^(٢) .

ولعلّ مما كان يزيد الإيهام بنسبة الكتاب إلى أبي عبيدة أن صاحب شعراء النصرانية كان يورد روايات كثيرة عن أبي عبيدة خلال ترجماته التي يذكر أنه انتفع فيها بكتاب طبقات الشعراء^(٣) .

واعتمد المحدثون على إشارات شيخو ومواقف الإيهام في كتابه ، فظنّوا أن لأبي عبيدة كتاباً بهذا العنوان ، في خزنة الآباء اليسوعيين (ومنهم شيخو) !

فكتب عبد الله مخلص من حيفا إلى مجلة المجمع العلمي العربي تقدّات تعرّض فيها لكتب طبقات الشعراء وما يعرّض من اللبس في أمر نسبتها إلى مؤلفيها ، وقال : « وفي خزنة كتب الآباء اليسوعيين في بيروت كتاب

(١) شعراء النصرانية ١٨٧ .

(٢) شعراء النصرانية ١٤٧ ، ٧٤٥ ، ٨٨٢ . وفي كل هذه المواطن ذكر أنه نقل عنه .

(٣) شعراء النصرانية ٧٣٣ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣

طبقات الشعراء لأبي عبيدة معمر بن المثنى . . . وهو من النوادر إن لم يكن
النسخة الوحيدة»^(١) .

وتابع (مخلصاً) بر ولمان على الانتفاع بإشارات شيخو وإيهاماته فنسب
إلى أبي عبيدة كتاباً عنوانه طبقات الشعراء مخطوطاً في بيروت^(٢) .

وأكبر الظن أن جرجي زيدان كان تورط بإشارات شيخو ، أيضاً ،
في كتابه عن تاريخ آداب اللغة العربية ، وحسب كما حسب غيره أن لأبي
عبيدة كتاباً مخطوطاً عنوانه طبقات الشعراء ، في خزانة الآباء اليسوعيين !

أما الطريف ، مع هذا كله ، فهو أن نجد لويس شيخو نفسه يقول
في تعقيبه على كتاب جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية) :

« كتاب طبقات الشعراء الذي بين مخطوطات مكتبتنا الشرقية ليس هو
لأبي عبيدة كما ظن (يعني زيدان) . وإنما هو نسخة من كتاب ابن قتيبة
الشهير مع بعض اختلافات في الروايات وزيادات شتى » .^(٣)

وهكذا ينقض لويس شيخو ما كان أوهم به ، وينفي هو نفسه ما كان
أثبت !

والحق ، من بعد ، أن كتاباً بهذا العنوان لم يُذكر لأبي عبيدة ، قبلاً .
والذي تذكره لأبي عبيدة كتب التراجم والفهارس ، في هذا الباب ، كتاب
عنوانه : الشعر والشعراء^(٤) ، وحسب !

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١٢ مج ٢ ص ٥٥٤

(٢) تاريخ الأدب العربي (ترجمة النجّار) ١٤٣/٢

(٣) مجلة المشرق مج ١٥ ص ٦٠٣ (١٩١٢ م)

(٤) بهذا العنوان ذكره ابن النديم في الفهرست ٥٢ والقفطي في الإنباء =

٢ — قصيدة على اللام :

وهذه القصيدة أثر آخر نسبته بروكلمان إلى أبي عبيدة^(١) ، وعده في الباقي من مؤلفات الرجل ، ومعوله في ذلك ماورد في فهرست مكتبة برلين تحت رقم (٧٥٣٥ : ٢ ، ٣) !

والذى نجده في فهرست آلورد (AHLwAROT) أن هذه القصيدة للأصمى لا لأبي عبيدة !

وأيضاً ، فحين بعثت إلى مكتبة برلين . . . وأرسلت إلى فليم (ميكرو فيلم) الصفحات التى يعنىها الرقم المذكور وتفصيلاته . . . وجدت قصيدة على اللام تُنسب للأصمى ، مروية على نسق الرواية فى ألف ليلة وليلة . ويبدو الأصمى فى سياق رواية القصيدة واحداً من هذه الشخصيات البارعة فى المنادمة والمسامرة ، وهو ما اشتهر به فى الواقع التاريخى لحياته . فالقصيدة — إن صحت لها نسبة — أقرب إلى الأصمى فضلاً عن أنها منسوبة إليه صراحة .

= ٢٨٥/٣ وابن خلكان فى الوفيات ٣٢٦/٤ والصفدى فى الوافى ٢٦/٢٦ وابن شاكر فى عيون التواريخ ٢٥٦/٣ والبغدادى فى إيضاح المكنون ٣٠٦/٣ وهديّة العارفين ٤٦٦/٢

(١) تاريخ الأدب العربى (الترجمة العربية) ١٤٤/٢

صناعة الفهارس

في المخطوطات العربية المنشورة

بقلم : محمد عبد القنى حسن

تطورت صناعة الفهارس في المخطوطات العربية التي يُسعدنا الحظ بالنشر تطورا ملحوظا منذ قام الاهتمام بنشر التراث العربى إلى يومنا هذا . وصارت الفهارس المتنوعة للمخطوط المنشور عملا ضروريا لا يقتصر على فهرس واحد أو اثنين . بل يتعدى ذلك إلى مجموعة من الفهارس المتعددة الموضوعات ، التي تجعل الاستفادة من المخطوط المنشور شيئا يسيرا ، وأمرًا سهلا .

وإلى عهد قريب آثر بعض المحققين السلامة ، ولجأوا إلى فهرس واحد لا غير للكتاب المخطوط الذى يقومون بتحقيقه ، ولم يُعنوا أنفسهم بالتسهيل على جماهير القراء والباحثين والدارسين بصنع فهرس متعددة للكتاب ، تجعل البحث فيه عملا يسور المنال . وأمامنا على ذلك مثال نذكره على سبيل الحصر . فإن كتاب (مرآة الزمان : فى تاريخ الأعيان) للعلامة شمس الدين ابن قزواغلى التركى ، الشهير بسبط ابن الجوزى المؤرخ . قد نُشر الجزء الثامن منه بعناية مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٩١٥ م . ولم يهتم محققه الفاضل إلا بصنع فهرس واحد بأسماء الرجال الذين وردت أخبارهم فى الكتاب ، مع أن الكتاب بما اشتمل عليه من شعر ، وأمكنة ، و فرق ، وطوائف ، ونوادير ، وأخبار ، كان يحتاج إلى أكثر من فهرس واحد ، حتى يسهل الانتفاع به ، والرجوع إليه بأيسر مؤونة .

ولعل فهرس الأعلام الذى جاء فى طبعة الوهبية لكتاب (خلاصة الأثر ، فى أعيان القرن الحادى عشر) للمحبى لم يكن من عمل محقق الكتاب الذى نشر سنة ١٢٨٤ هـ . فإن المؤلف نفسه قد رتب الأعيان المترجم لهم فى متن كتابه على وفق حروف المعجم ، وجاءت الترجمة لهم واحدا إثر واحد على ترتيب حروفهم . ومن هنا لم يصنع المحقق أكثر من نقل الأعلام فى جداول أصبحت فهرساً للكتاب . ويقابل هذا التقصير فى عمل فهرس (خلاصة الأثر) تقصير آخر فى تحقيق متن الكتاب لا تتعرض له هنا لأنه ليس من سبيل موضوعنا (١) .

وقد يتنوع حظ كتاب واحد من العناية بفهرسه ، ويختلف نصيبه من الاهتمام بالفهارس تبعاً لمشيئة محققه وميوله . فإن (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى قد تناولتها طبعتان : طبعة قديمة لدار المعارف بتحقيق المرحوم الأستاذ كامل كيلانى ، وطبعة حديثة لدار نفسها بتحقيق الدكتورة بنت الشاطىء نشرت سنة ١٩٥٠ . ولكن طبعة كامل كيلانى لم تهتم إلا بعمل فهرس واحد لموضوعات رسالة الغفران ، على حين أن طبعة الدكتورة عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطىء - قد اهتمت بعمل سنة فهارس للموضوعات ، وأعلام الأشخاص ، والأمم والقبائل والطوائف ، والأماكن ، والحيوان والنبات ، والكتب الواردة فى رسالة الغفران . وهى فهارس جعلت الاستفادة من الكتاب أمراً محققاً .

وإذا كان بعض محققى المخطوطات قد اكتفى بصنع فهرس واحد للكتاب

(١) لقد نشر وحقق (خلاصة الأثر) منذ مائة عام ، ولهذا كان من العدل والإنصاف أن نراعى ظروف التحقيق والنشر فى العصر الذى طبع فيه .

الذى ينشره ، فإن بعضهم قد لجأ إلى التوسع في الفهارس والتنوع في موضوعاتها ، والإكثار من عددها . وتحضرنا على هذا بضعة أمثلة مما نُشر أخيراً من كتب التراث العربى ، فإن كتاب (العقد الفريد) فى الطبعة التى أصدرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٣ قد ظفر بجزء خاص بفهارس الكتاب يشتمل على اثنى عشر فهرساً ، وقد وقع جزء الفهارس هذا فى ست وتسعين ومائتى صفحة ، وهو من صنع الأستاذين المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحمد رشاد عبد المطلب . أما كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ الذى قام بتحقيقه الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، فقد صنع له خمسة عشر فهرساً عاماً تبلغ صفحاته خمسا وثمانين ومائتى صفحة ، وتحتل شطرا كبيرا من الجزء الرابع من الكتاب . ولهذا لم تقع فى مجلد واحد مستقل كما حدث فى فهارس (العقد الفريد) . أما الفهارس العامة لكتاب (الحيوان) للجاحظ ، الذى حققه الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، فيبلغ عددها ستة عشر فهرساً ، وتزيد صفحاتها على الأربعمئة صفحة ، ولكنها - مع هذا - لم تقع فى مجلد مستقل قائم بذاته . وإنما وقعت فى شطر كبير من الجزء السابع من الكتاب . وقد بلغت الفهارس العامة المتنوعة للجزء الثامن من كتاب (الإكليل) للهمداني المتوفى سنة ٣٣٤هـ - سنة ٩٤٥م ثمانية عشر فهرساً عني الأب أنستاس ماري الكرملي بصنعها وترتيبها ، حتى تتحقق المنفعة من هذا الكتاب الثمين . ونستطيع من نظرة واحدة سريعة على عناوين الفهارس التى وضعها الأب أنستاس ماري الكرملي لكتاب (الإكليل) أن تتبين الجهد العظيم الذى بذله فى إخراجها . والروح الفنية والموضوعية التى أوحى إليه عمل هذه الفهارس . ويبدأها كالآتى : فهرس فصول الكتاب ، وفهرس القواعد العربية ، وفهرس المعمرين من العرب ، وفهرس الشعراء ، وفهرس القوافى ،

وفهرس المحدثين والرواة ، وفهرس عمراني ، وفهرس الأسداد ، وفهرس القبور والمدافن في بلاد اليمن ، وفهرس الجبال ، وفهرس الحصون والقلاع ، وفهرس القصور ، وفهرس الألفاظ العربية ، وما يقابلها بالفرنسية ، وفهرس التأليف والمطبوعات الوارد ذكرها في متن الكتاب وحاشيته ، وفهرس مفتاح المغلق من الألفاظ الغريبة ، وفهرس الأمثال والأقوال المأثورة ، وفهرس المواضع ، وفهرس أسماء الرجال وهو آخر فهرس الكتاب . ولا شك أن فهرس (الإكليل) تعدُّ عملاً رائعا ، ومشاركة جليلة في تحقيق متن الكتاب وتقديمه في صورة مبسرة للمراجع والدارس . أما كتاب (حلية الفرسان ، وشعار الشجعان) لابن هذيل الأندلسي الذي قمنا بتحقيقه ونشره مطبوعاً لأول مرة في دار المعارف سنة ١٩٥١ فقد أعانتنا التوفيق على أن نصنع له سبعة عشر فهرساً لم يفت الأستاذ المحقق عبد السلام محمد هارون أن يشير إليها في خلال كتابه الذي ألفه عن (تحقيق النصوص ونشرها) ، وهو أول كتاب عربي يعالج هذا الموضوع ، ويوضح أسسه وطرائقه^(١) .

والحق أن تنوع الفهارس العلمية للمخطوطات التي تنشر ، يدلُّ على مدى اهتمام المحقق بالقارىء والباحث وتيسير سبل البحث والمراجعة له ، وتوفير الوقت له في عالم قد ازدحمت فيه الأعمال ، وضافت الأوقات إلى حد لا يحتمل . على أن التفتن في موضوعات هذه الفهارس ليس ابتداء ولا موضوعاً لفخر ، ولكنه مشاركة من المحقق ، وإحساسٌ جدِّيٌّ منه بالصعوبات التي قد تلحق القارىء ، ومحاولةٌ منه لتذليلها . وإلا فقيمُ بُعْيِ الأب أنستاس ماري الكرملي نفسه بأن يصنع للإكليل فهرساً بالمعمرين من العرب ، وفهرساً بالمسائل

(١) وللدكتور صلاح الدين المنجد رسالة جيدة على إنجازها في (قواعد تحقيق النصوص) نشرها معهد المخطوطات .

النحوية والصرفية التي وقعت عَرَضاً في الكتاب ، والتي قد يفيد فيها الباحث بالرجوع إلى الفهارس ، فيقع على المسألة النحوية في صفحاتها . . . ؟ وكذلك كان القصد حين عَنَيْنَا النفس بعملِ فهرسٍ لأسماء الفرس ، وألوان الخيل ، وشيات الخيل ، وغرر الخيل ، والعيوب الخلقية في الخيل مثلاً في كتاب (حلية الفرسان) لابن هذيل الأندلسي .

وقد بلغ من إرادة التيسير عند بعض المحققين أنهم صنعوا (فهرساً للفهارس العامة) ، حتى لا يضيق القارىء والباحثون في متاهاتها . وحتى لا يفقدوا الوقت بتقليب أوراق الفهارس ورقة ورقة . ونجد مثل هذا التيسير في فهرس كتاب (الحيوان) للجاحظ التي صنع لها المحقق فهرساً للفهارس كان ترتيبه السادس عشر والأخير من فهرس الكتاب ... على أن المحقق نفسه في تحقيقه لكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ لم ينصرف إلى تدوين (فهرس للفهارس) ، مع أن عددها يداني عدد فهرس كتاب الحيوان . وكان أولى أن يجري في الكتابين على حال واحدة .

ولا يكاد يخلو تحقيقٌ حديثٌ لمخطوط قديم من وجود فهرس للأعلام . ولا نحصى في سبيل ذلك كل ما نشر من مخطوطات تشتمل على فهرس للأعلام ، ولكننا نذكر على سبيل المثال لا غير (آمالي المرتضى) ، و (مفاكهة الخللان في حوادث الزمان) لشمس الدين بن طولون الذي حققه الدكتور محمد مصطفى ، و (طبقات الصوفية) للشلمى ، و (ديوان الأعشى) ، و (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدى ، و (مآثر الإنافة في معالم الخلافة) للقلقشندي وهو من منشورات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، و (أخلاق الوزيرين) لأبي حيان التوحيدى ، و (الحيدة) للإمام عبد العزيز

ابن يحيى الكناني ، وهما من منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ، و (الأمل)
لأبي علي القالي ، و (لطائف المعارف) للثعالبي وهو من تحقيق الأستاذين
إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي . و (العقد الفريد) لابن عبد ربه ،
و (الأغاني) للأصفهاني ، و (البيان والتبيين) للجاحظ .

ولقد جرت عادة المحققين أن يكون للأعلام والرجال فهرس قائم بذاته ،
وللامكنة والبلاد فهرس آخر مستقل ؛ فلا يكون هناك فهرس واحد يجمع
بين أعلام الأشخاص ، وأسماء الأمكنة والبلاد في مكان واحد . ولم نجد
من يخالف هذا العرف المؤلف في النشر وصناعة الفهارس إلا الباحثة
المستشرقة جانين سورديل حين قامت بتحقيق كتاب (الإشارات إلى معرفة
الزيارات) للهروي ، وهو من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٣ ،
فقد صنعت للأعلام والأمكنة فهرسا هجائيا واحدا ، ولهذا ليس من المستغرب
في هذا الفهرس أن تقع على اسم مدينة حمص بجوار اسم حمزة الزبيدي ،
وأن تقع على اسم رابعة العدوية المتصوفة بجانب اسم عبدة بلدة رأس العين ...

ومن المحققين من يُفصل فهرس الأعلام ويقسمه تقسيماً طائفيّاً أو مهنيّاً ،
أو طبقيّاً ؛ فلا شعراء وخدم فهرس خاص بهم ، وللمعمّرين من الرجال فهرس
خاص بهم ، وللمحدثين والرواة فهرس خاص بهم ، وللرجال - على العموم -
فهرس خاص بهم ، كما صنع الأب أنستاس ماري الكرملي في تحقيقه لكتاب
(الإكليل) للهمداني .

وقد اهتم ناشرو التراث العربي اليوم ومحققوه بصنع فهرس الأماكن
والبلدان والمواضع التي وردت في متن المخطوط للنشور ، ويحضرنا على سبيل
التمثيل لذلك الكتب التالية : (لطائف المعارف) للثعالبي ، و (البرهان

في علوم القرآن) لبدر الدين الزركشي ، و (أخلاق الوزراء) لأبي حيان التوحيدي ، و (الحيدة) للكاتبي ، و (ثمار القلوب) للثعالبي ، و (ديوان الأعشى) ، و (مفاكهة الخلان) للمؤرخ ابن طولون الدمشقي .

ويأتي فهرس القبائل والأمم والجماعات قريبا من فهرس الأعلام أو مجاوراً له ، ولا يبعد كثيراً عن فهرس البلدان والأماكن . وقد يدخل بعض المحققين الفرق والمذاهب في فهرس القبائل والأمم . وممن صنع ذلك الدكتور جميل صليبا وهو ينشر كتاب (الحيدة) للإمام عبد العزيز بن يحيى ، والأستاذان محمد فؤاد عبد الباقي ومحمد رشاد عبد المطلب وهما يصنعان فهرس (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي ، والأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم الذي قام بتحقيق كتاب (شرح العيون ، في شرح رسالة ابن زيدون) لابن نباتة .

وقد اقنن محققو المخطوطات اليوم في عمل الفهارس الفنية للتنوعة التي لا مجال لتحديدتها أو حصرها ، وإنما هي تختلف باختلاف وحي المخطوط المنشور وما توحى — موضوعاته ومسائله . ولا شك أن المحققين العرب قد أقادوا من جهود المستشرقين في هذا الباب وزادوا عليها ونوعوا فيها ... ففي كتاب (المفضليات) للمفضل الضبي ، الذي قام بتحقيقه وشرحه الأستاذان للرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام محمد هارون ، نرى فهرس فنية تحليلية للأوصاف والتشبيهات والفخر والمعاني العامة التي وردت في القصائد التي يرونها مؤلف الكتاب أو جامعها الأصلي . وقد أحسن المحققان الروح الابتكارية في عملهما هذا ، فعلقا على الفهارس الفنية التي صنعها بما يفيد أن هذه الفهارس التحليلية للبتكرة هي من صميم فنون الشعر ، إذ ترشد القارئ إلى مواضع المعاني التي بها يتفاضل الشعراء في البلاغة والإبانة ، وهي للمعاني التي بها يكون الشعر شعراً ، وعقبا على هذا البيان بقولهما : (وان نجد لهذه

الفهارس مثيلاً في كتاب من قبل) . ولم يَطُل الأمد على ظهور (للمفضليات) بفهارسها للبتكرة حتى رأينا (ديوان الأعشى الكبير) يصدر عن مكتبة الآداب بالجماهير بتحقيق الدكتور محمد حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية وفيه فهرس بالفنون الشعرية والموضوعات ، وفهرس آخر للمعاني والصور الشعرية في ديوان الأعشى ، بالإضافة إلى الفهارس العادية المألوفة للأعلام ، والقبائل ، والأمم ، والآما كن ، والأيام ، واللغة ، والقوافي .

على أن (اللغة) ، والألفاظ والأبحاث اللغوية ، والمسائل العربية قد نالت من اهتمام بعض المحققين ما أثروا به باب الفهارس الفنية للمخطوطات المنشورة . ففي (المفضليات) فهرس مبتكر للحروف والألفاظ اللغوية التي لم تذكر في المعاجم ، ولكنها جاءت في شعر المفضليات . وصنع الإيباري وحسن كامل الصيرفي فهرساً للكلمات في كتاب (لطائف المعارف) للثعالبي^(١) كما صنع محقق ديوان الأعشى فهرساً للغة . وحين صنع محمد بن تاويت الطنجي فهارس لكتاب (أخلاق الوزيرين) وضع فهرساً للألفاظ وأسماء (فهرس كلمات ذات دلالات خاصة) ، وصنع محققاً كتاب (الفائق) في غريب الحديث للزمخشري فهرساً للأبحاث اللغوية والنحوية ، وفهرساً آخر للألفاظ اللغوية مرتبة ، وصنع محقق كتاب (مجالس ثعلب) فهرساً لمسائل العربية ، وفهرساً آخر لما لم يذكر في المعاجم من الألفاظ الواردة في الكتاب . وافتن محقق كتاب (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس في فهرس اللغة الذي وضعه لهذا الكتاب الثمين ، فقسّمه إلى فهرس لما ورد من الألفاظ اللغوية في غير مادته ،

(١) وكذلك صنع حسن كامل الصيرفي فهرساً للكلمات في تحقيقه لكتاب « طيف الخيال »
لشريف المرتضى .

وفهرس للألفاظ غير العربية ، وفهرس لما فات المعاجم المتداولة أو افرد به ابن فارس .

والحق أن هذه الفهارس اللغوية ضرورية جداً للباحث ، والأديب ، واللغوي ، وفيها تسجيل لألفاظ عديدة لم تذكرها معاجم اللغة في مواردها ؛ ولكنها جاءت في الاستعمال ، فكان لابد من تسجيلها في فهرس واحد ، وعدم الاقتصار على المرور عليها مرأً سريعاً في متن الكتاب .

ويتصل بفهرس اللغة عدد من الفهارس الخاصة بألفاظ الحضارة ، والمصطلحات الفنية ، وأسماء الوظائف والحرف ، والمباحث الكلامية واللغات المرتبطة بموضوع معين ؛ كلفات الميسر والقдах التي وردت في كتاب (الميسر والقдах) الذي حققه وعلق عليه وصنع فهارسه المرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب ، وهو من منشورات المكتبة السلفية سنة ١٣٤٣ هـ ، وغير ذلك من الموضوعات اللفظية والاصطلاحية والموضوعية التي لا يهدأ بال المحقق الأصيل حتى يجمعها ويرتبها ترتيباً هجائياً ، ويصنع لها فهرساً خاصاً بها . فنجد في كتاب (الذخائر والتحف) للقاضي الرشيد ابن الزبير المنشور بالكويت سنة ١٩٥٩ فهرساً بألفاظ الحضارة التي وردت في هذا الكتاب ، والتي لها دلالات خاصة في العصور التي استعملت فيها ، وقد عني الدكتور محمد حميد الله — محقق الكتاب — نفسه بعمل هذا الفهرس الثمين . وفي كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ نجد محققه الفاضل الأستاذ عبد السلام هارون يصنع فهرساً للحضارة ويشمل نظم العرب الاجتماعية والسياسية والمالية والخلقية والتعليمية . وفي كتاب (مفاتيح الخلاص) لابن طولون الدمشقي نجد فهرساً نفيساً للكلمات والمصطلحات اللغوية والفنية ، كما نجد فيه فهرساً ثميناً آخر بأسماء الوظائف والحرف في الفترة

التي يؤرخ لها المؤلف مع بيان من باسروها^(١). وهو فهرس نجد فيه كثيراً من الوظائف التي كانت مخصصة في مصر والشام في القرن العاشر الهجري عقب الفتح العثماني من أمثال : أتابك العساكر ، واستادار السلطان ، وأمير آخور ، وخازن دار ، ودفتردار ، ودوادار السلطان ، وكاتب الجرايد ، وكاشف الأوقاف وغيرها . وفي كتاب (الحيدة) للكناني نجد فهرساً للمصطلحات في علمي التوحيد والكلام ؛ كالنوم ، والجدل ، والحق ، والتأويل ، والكائن ، والمحال ، والوجود ، والوحي . وفي كتاب (الحيوان) للجاحظ نجد المحقق يصنع الفهرس الثالث عشر للكتاب في المباحث الكلامية التي جاءت في غضون (الحيوان) ، كاستدلال ، والاستحالة ، والدهرية ، والصوفية ، والهيولى ، والمعرفة ، والمنزلة بين المنزلتين . . . وفي كتاب (طبقات الصوفية) للسلمي نجد محققه الأستاذ نور الدين شريعة يصنع فهرساً - أو كشافاً - للمصطلحات الصوفية التي وردت في الكتاب .

وهذه الفهارس المتخصصة تكون ألصق بكتبها التي جاءت فيها ، كفهرس اللغة في كتب اللغة ، وفهرس المصطلحات الكلامية في كتب الكلام وفهرس البيان والبلاغة في كتب البيان . كالذي فعله الأستاذ عبد السلام هارون في فهرس البيان والبلاغة في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ ، وهو من ابتكارات الأستاذ عبد السلام الطريقة المفيدة .

وبمناسبة الابتكار والطرافة لن يفوتنا في هذا المجال ما صنعه محقق كتاب (الحيوان) من فهرس لأنواع الحيوان ، وفهرس آخر لأعلام الحيوان ؛

(١) وقد وضع المرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة فهرساً للألفاظ الاصطلاحية في تحقيقه لكتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي ، وهو من الفهارس الاصطلاحية التاريخية النفيسة .

وندع محقق الكتاب يحدثنا عن فهرس أنواع الحيوان بعبارة قائلا :
(المقصد من هذا الفهرس أن يتمكن القارى من جمع معارف منظمة في كل نوع
من أنواع الحيوان ، على أسلوب علمي ، بحيث لا يلقى صعوبة في البحث
وقد وجدت أن أفضل طريقة لتنظيم هذه المعارض أن تكون على الترتيب
التالى بقدر الإمكان (١) تسمية الحيوان وبيان جنسه وأنواعه وأشباهه (٢)
الكلام فى أعضائه وتطوراته وألوانه (٣) بيان طعامه وشرابه وسلاحه
وصلاته وصيغته ونفعه وضرره (٤) الكلام فى تناسله وطباعه وتعليمه
وأمرضه وعمره (٥) بيان موطنه وأثر الطبيعة فيه وعلاقته بغيره
من الحيوان) .

ولعل من أطرف الفهارس وأكثرها جدوى ما جاء فى فهارس كتاب
(ثمار القلوب) للثعالبي الذى حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ونشر
سنة ١٩٦٥ ، فقد صنع المحقق فهرساً هجائياً للمضاف والمنسوب تهدي إلى
الاستعمال المطلوب بأيسر مشقة ، ويحيل على الصفحة التى ورد فيها الاستعمال ،
مع رقم المثل أو الصيغة نفسها ، فعبارة مثل : برّد العجّوز ، وبكاء السرور ،
وتفريق العصا ، وثقل الرصاص ، وجناح البعوضة ، وجهد المقل ، وحمير مصر ،
وخلاخيل الرجال ، وظباء مكة ، وعجائز الجنة ، وعقاب الجو ، ولبن الطير ،
ونار المجوس وغيرها من مئات الاستعمالات والتعابير ذوات الدلالات الخاصة
لن يجد الأديب والباحث صعوبة فى الوصول إليها عن طريق هذا
الفهرس الجليل .

ولقد كان حظ الشعر والشعراء غير مكدود ولا محدود فى الفهارس الحديثة
التي تشتمل عليها المخطوطات التي تنشر اليوم فهناك فهرس للأشعار ، وفهرس
للأرجاز ، وفهرس لأنصاف الأبيات ، وفهرس للشعراء أنفسهم . وفى فهرس

الأشعار والقوافي يذكر عادة اسم البحر واسم الشاعر والقافية ، كما في (نمار القلوب . وترتب القوافي هجائياً ، فتأتي القافية الساكنة أولاً ، فالمتروحة ، المضمومة ، فالمكسورة على الترتيب . ونجد بعض المحققين يهتمون بأنصاف الأبيات ، فلا يدعونها بدون فهرس يسجلها ويدل عليها ، كالذي نجده في كتاب (لطائف المعارف) للثعالبي ، و (شرح العيون) لابن نباتة المصري . و (نمار القلوب) للثعالبي . وتبدو عناية الأساتذة محمد أبو الفضل إبراهيم ، وحسن كامل الصيرفي ، وأحمد محمد شاكر ، وعلى البجاوي بهذا النوع من الفهارس . وقد تضرب أسماء البحور عند المحقق ، فيسمى بحراً باسم بحر آخر ، وقد لاحظنا مثل هذا الاضطراب في تحقيق كتاب (اختصار القدح للمعلّي) لابن سعيد المغربي . وقد لا يذكر المحقق أسماء البحور التي جاء عليها الشعر ، كما صنعه محمد بن تاووت الطبخي في كتاب (أخلاق الوزيرين) ، وللرحوم محب الدين الخطيب في كتاب (الميسر والقдах) لابن قتيبة .

على أن من المحققين من يُغفل عمل فهرس للشعر والقوافي في مجال تدعو الحاجة إلى عمل فهرس من هذا النوع ، كالذي صنعه الدكتور شوقي صنيف في تحقيقه لكتاب (المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد المغربي ، فقد صنع للكتاب فهرس أربعة هي : فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن والبلدان ، وفهرس المصادر التي اعتمد عليها مصنفو كتاب المغرب ، وفهرس مراجع التحقيق ، وترك فهرس الشعر الذي يشتمل عليه الكتاب وهو كثير جداً ، مع شدة حاجة الباحث إليه .

ولم يضمن بعض المحققين على الأرجاز الواردة في المخطوطات التي تنشر بعمل فهرس لها ، كما صنع محققو كتب (أمالي المرتضى) و (معجم مقاييس

اللغة) و (شرح العيون) . وقد زاد محقق (ثمار القلوب) فأضاف إلى فهرس الأرجاز اسم قائل الرجز ، وكذلك صنع محقق كتاب (مجالس ثعلب) .

وقد تأتى فى المخطوط المنشور آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، فلا يفوت المحقق الحديث أن يصنع لها فهرس آيات القرآن الكريم كما جاء فى (العقد الفريد) طبعة لجنة التأليف والنشر ، وفى كتاب (لطائف المعارف) للثعالبي ، وكتاب (مآثر الإنافة) للقلقشندى ، وكتاب (أمالى المرتضى) للمسعى بد (غرر الفوائد ، ودرر القلائد) للشريف المرتضى . ومن فهارس الأحاديث النبوية ما جاء فى (أمالى المرتضى) ، و (لطائف المعارف) و (مآثر الإنافة) و (أخلاق الوزيرين) لأبى حيان التوحيدى ، و (الكشكول) للعالمى .

ولم تعدم الأمثال العربية من يفهرس لها فى المخطوطات التى تنشر ، كما صنع محققو كتب : (أخلاق الوزيرين) و (معجم مقاييس اللغة) و (أمالى المرتضى) و (الفائق) للزمخشري و (مجالس ثعلب) ، و (تلخيص البيان) للشريف الرضى و (طيف الخيال) للشريف المرتضى ، وفيه فهرس لمثلين اثنين لا غير . . .

أما أيام العرب — فى الجاهلية والإسلام — فلم يفت بعض محققينا المحدثين من يصنع لها الفهارس فى الكتب الخطية التى ينشرونها . كما فعل محققو كتب (الحیوان) و (الفائق) و (أمالى المرتضى) و (لطائف المعارف) و (ديوان الأعشى) ، و (إمتاع الأسماع) للمقريزى^(١) .

بقى من الفهارس التى يصنعها المحققون اليوم لكتب التراث العربى

(١) أضاف الأستاذ محمود محمد شاكر محقق « إمتاع الأسماع » إلى فهرس الأيام فهرسا بغزوات الرسول وسراياه .

(فهرس الكتب) ، وهو قسمان : قسم يتناول الكتب والمؤلفات والمصنفات التي ذكرها المؤلف في كتابه أو رجع إليها في تصنيفه . وقسم يتناول الكتب والمراجع التي استند إليها المحقق في تحقيقه أو شرحه للنص ، سواء أكانت تلك المراجع مخطوطة أم مطبوعة ، وسواء أكانت على هيئة كتب ، أم صحف ومجلات ، أم وثائق أخرى . ومن الكتب المخطوطة التي نشرت وزودها المحقق بفهارس الكتب التي ذكرها المصنف : كتاب (أمالي المرتضى) ، و (طبقات الصوفية) للسلي ، و (لطائف المعارف) للثعالبي ، (والإمتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي ، و (مآثر الإنافة) للقلقشندي ، و (أخلاق الوزيرين) للتوحيدي ، (والذخائر والتحف) للقاضي الرشيد ابن الزبير ، و (المغرب) لابن سعيد المغربي ، و (البيان والتبيين) للجاحظ ، و (شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) لابن نباتة . وتختلف عدة الكتب التي رجع إليها المصنفون وذكروها في خلال كتابهم تبعاً لقراءات المؤلف ومطالعاته وتناول يده . فقد بلغت الكتب التي ذكرها الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) ستة وعشرين كتاباً . منها ثمانية كتب من تأليفه هو . وبلغت عدة الكتب التي ذكرها الجاحظ في كتابه (البخلاء) ثمانين كتاباً ، منها أربعون كتاباً من تصنيفه والأربعون الباقية من تأليف غيره . وبلغت عدة الكتب التي ذكرها ابن نباتة المصري في صلب كتابه (شرح العيون) ستة عشر كتاباً . وبلغت عدة الكتب التي جاءت في متن كتاب (لطائف المعارف) للثعالبي أربعة وعشرين كتاباً .

ومن الكتب التي وضع لها المحققون فهارس بأسماء مراجع التحقيق والنشر : (نمار القلوب في المضاف والمنسوب) للثعالبي ، وقد ذكر فيها محققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ١١٣ مرجعاً ، وكتاب (تلخيص البيان

في مجازات القرآن) للشرىف الرضى ، وقد رجعتُ فى تحقىقه إلى ستة وتسعين مرجعا ، وكتاب (المغرب فى حلى المغرب) لابن سعىء المغربى ، وقد رجع فىه محققه الدكتور شوقى ضىف إلى سبعين مرجعا ، وكتاب (لطائف المعارف) للثعالى ، وقد استند فىه محققاه الأستاذان الإىبارى وحسن كامل الصىرفى إلى ثلاثة وثلاثين ومائة مرجع .

وهناك من المخطوطات المنشورة ما لم توضع له فهارس بمراجع التحقىق ؛ كما فعل الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون فى (المفضلىات) ، وكما فعل الشاعر أحمد نسىم فى تحقىق (دىوان مهىار الديلى) ، وكما فعل محقق كتاب (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزى المطبوع بالهند ، وكما فعل المرحوم كامل كىلانى فى تحقىقه (لرسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى ، وكما فعل الدكتور محمد حمىء الله محقق كتاب (الذخائر والتحف) للقاضى الرشىء ابن الزبىر ، وكما فعل الأستاذان محمد أبو الفضل إبراهىم وعلى البجاوى محققا كتاب (الفائق فى غرىب الحديث) للزمخشرى .

وتأتى أسماء الكتب عادة فى فهارس مراجع التحقىق مرتبة ترتيبا هجائىا ، فتبداً بالهمزة وتنتهى بحرف الباء ، وَنَدَرُ أن نجد أسماء الكتب واردة بغير ترتيب هجائى ، وأكثر ما يكون ذلك فى الكتب المؤلفة لا المحققة ، فإن المحققىن عادةً - لطول إلفهم لعمل الفهارس المرتبة - يؤثرون أن تكون أسماء الكتب مرتبة ترتيبا هجائىا فى فهارس الكتب .

وبحرص أهل الدقة والتحقىق من محققى المخطوطات المنشورة على أن يكون فهرس المراجع مشتملا على اسم الكتاب ، واسم مؤلفه ، ومكان النشر ، وتارىخه ، كما نجده فى فهرس مراجع التحقىق بكتاب (البخلاء) للجاحظ من صنع الدكتور طه الحاجرى ، وفهرس مراجع (البىان والتبىىن) من صنع

الأستاذ عبد السلام هارون ، وثبت مصادر التحقيق لكتاب (طبقات الصوفية) من صنع الأستاذ نور الدين شريعة ، وفهرس مراجع تحقيق كتاب (حلية الفرسان ، وشعار الشجعان) لابن هذيل . على حين أن من المحققين من يؤثر الإيجاز في فهرس الكتب فيكتفي باسم الكتاب دون ذكر لمؤلفه حيناً ، أو مع ذكر لمؤلفه ببعض الحين ، كما فعل المرحوم أحمد أمين ، والأستاذ السيد أحمد صقر في فهرس الكتب بكتاب (الهوامل والشوامل) لأبي حيان التوحيدي . فقد وردت فيه أسماء الكتب الآتية بدون ذكر لأسماء مؤلفيها : أخلاق الأمم ، أسرار البلاغة ، الإصابة ، البداية والنهاية ، الترييع والتدوير ، جهرة أشعار العرب ، زهر الآداب ، السماع الطبيعي ، طبقات الأمم ، الكتاب ، كتمان السر ، الباب ، مجمع الأمثال . ووردت فيه أسماء قلة من الكتب منسوبة لأصحابها : كالأخلاق لأرسطو ، والتمهيد للباقلاني ، والفائق للزمخشري ، والكامل للمبرد . ولا يقال بأن الكتب التي تركت أسماء مؤلفيها مشهورة وأصحابها معروفون ، فإن القارئ — مهما بلغت ثقافته بالكتب — في حاجة إلى من يُبصِّره ويزوده دائماً بأسماء المؤلفين حتى لا يند عن ذهنه واحدٌ منهم ؛ وباب الكتب ومؤلفيها خضمٌ واسع ، لا بد له دائماً من مذكرٌ ومسجل ، التماساً للدقة ، وطلباً لأمانة العلم ، وحفظاً للمعارف من الضياع .

فهارس المخطوطات الواردة في المجلد العاشر

(من مكتبة داود الجلبى بالموصل)

(١)

اسم الكتاب	رقم الصفحة
الآية الكبرى فى قصة الاسرا للسيوطى	١٠
آيات وأحاديث وحكم وأشعار شتى - لعلها للأبيوردى	٢٠
الابتهاج بالكلام على الاسراء والمعراج ، لنجم الدين العيظى	١٠
اتحاف الأنام بأخبار جرجيس عليه السلام للدباغ	١٦
اجازة من السيد ابراهيم القادري لدرويش هندى	١١
أدعية وأوقاف - بالعربية والفارسية	٢٩
أرجوزة ابن سينا فى الطب	٣٣، ٢٥
أرجوزة فى دلالة اختلاج أعضاء البدن	٢٩
أرجوزة فى الفقه	٢٩
أسئلة وأجوبة فى العقائد والإيمان للشيخ عطية القهوقى	١٠ ..
أسماء شهداء بدر	٣٦
أشعار قاسم بن يحيى أفندى وأشعار أخيه صالح	١٩
اعتقاد أهل السنة والجماعة للشيخ عدى بن مسافر	٣٨
الاعلام بقواطع الاسلام لابن حجر الهيتمى	٩
الأغانى لأبى الفرج الأصبهاني الجزء التاسع	٣١
أقرباذين الطب المختار لمحمد جلبى	٢٩
ألفية العراقى فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٥، ١٨

اسم الكتاب	رقم الصفحة
الأمداد والأرطال لمحمد باقر	١٣
انتخاب الاقتضاب المشتعل على سؤال وجواب في الطب	٢٤، ٢٢ ..
انتظام قلائد العقيان فيما يورث الفقر والنسيان ، لرضى الدين الغزى	٣١
الأنوار الالائحة فى تفسير الفاتحة ، لاسماعيل بن عبد الله الموصلى	٣٨
أوراق من كتاب فى مسائل فرضية	٣٥
الايضاح على أسرار النكاح للشيرازى	٢٧، ٢٦

(ب)

البارع فى أحكام الطوالع لعمر بن الفرخان	٣٠
بحر الجواهر ، فى الطب القديم ، لمحمد بن يوسف الهروى	٢٢
بداية الهداية للغزالي	١١
بديع المعانى فى شرح عقيدة الشيبانى ، لنجم الدين العجلونى	٣٦
بديعية جلال الدين السيوطى	٣٦
برء الساعة ، للرازى	٢٣
بستان الحكماء وسراج العلماء ، للقمان الحكيم	١٧
بلغة الفواص الى معدن الاخلاص ، لمحيى الدين بن عربى	١١ ..
بلوغ القصد والمنى فى خواص أسماء الله الحسنى	٢٩
البهجة للحسين بن منصور الحلاج	١١

(ت)

تاريخ الأنبياء	١٥
تاريخ الموصل ، للأب لنزا	١٥
التبصر بالتجارة ، للجاحظ	٣٨

رقم الصفحة

اسم الكتاب

٩	تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب ، لذكرى الأنصارى
٣٤	تحقيق جواب السعدى على أشكال الكشف على الكشاف ، للدباغى
١٨	تخميس الهمزية ، لعلى الجفعترى
١٧	تخميس الوترية فى مدح خير البرية لمجد الدين محمد البغدادى
٩	ترجيح البيئات الأسيرية
٩	ترجيح البيئات ، لعبد الرحمن بن سليمان الشهير بخصال
٩	ترجيح البيئات ، لملا كاظم البغدادى
٢٩	تفسير الأحلام
١٥	تقويم البلدان ، للملك المؤيد صاحب حماه
٣٠	تقويم الدول والبلدان والأمم
٢٠	تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم لابن حمويه
١٣	تلخيص الحساب للعامل
١٣	تلخيص المفتاح فى الحساب لجمشيد بن مسعود
٣١	تلخيص المفتاح للقزوينى

(ث)

٣٩، ١٦	ثلاث كتابات تاريخية
--------	---------------------

(ج)

٢٣	جداول الحاوى
١٠	جدول فى الفرائض
١٢	الجلوة ومصحف ورش

(ح)

٣٤	حاشية ساجقلى زاده على حاشيتى الحيالى وقول أحمد فى العقائد
----	---

اسم الكتاب	رقم الصفحة
حاشية عبد الغفور ، على الحامى فى النحو	١٤
حاشية على آداب شمس الدين السمرقندى	٣٤
حاشية على تفسير الشيخ ابن سينا لسورة الاخلاص، للمرعى	٣٤
حاشية على الزايرة الألقابية التسترية	٣٠
حاشية على شرح حسام كالى	٢١
حاشية على الشيرازى	٣٤
حاشية محيى الدين التالجبى على شرح حسام الدين الكالى ،	
لايساغوجى	٣٧
الحجة على من زاد على ابن حجة	٣٦
حرز الأمانى ووجه التهانى (وهى الشاطبية)	٣٨
حقائق الدقائق فى شرح رسالة علامة الحقائق	١٣
حل ألفاز ، لمحمد صالح بن طه الموصلى	٩
حواشى الزبيارى على شرح عصام لرسالة الاستعارات	
للسمرقندى	١٣
حياة الحيوان الكبرى للدميرى	٢١

❦

(خ)

خلاصة الأسرار فى الصنعة (الكيمياء)	٣٥
خمس رسائل فى الطب ، لابن بطلان وابن رضوان	٢٨

(د)

الدر النقى فى الموسيقى ، لأحمد المسلم الموصلى	٣٢
درياق العليل فى مسائل الخليل للشيخ حسين أحمد	١٢
دفع مضار الأغذية للرازى	٢٢
دلالة طنين الأذنين	٢٩

اسم الكتاب	رقم الصفحة
ديوان أحمد المسلم الرفاعي بن عبد الرحمن الموصلی ٣٢	
ديوان الشيخ أبي بكر بن جميل ١٨	
ديوان صفى الدين الحلى ١٩	
ديوان محمد افندى بن الحاج اسماعيل افندى قاضى زاده .. ١٩	

(ذ)

ذكر الأحرف التى أدغمها السوسى ٨	
--	--

(ر)

الربع الرابع من أبو حجر ٩	
رحلة أوليفى - القسم الخاص بالموصل ١٥	
رد على جوكز زاده فى صوفية القائل بأن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن عامة ، لأحمد المرعشى ٣٤	
رد على مسح الرجلين فى الوضوء ، لداود بن سليمان البغدادى ١٠	
رسائل ومباحث وحواش فى علوم شتى ٣٩	
رسالة دعوة الأطباء ، للمختار بن الحسن بن عبدون .. ٢٥	
الرسالة الشافية فى الحقائق المخفية ، لمحمد الكلازى .. ١٢	
رسالة صغيرة فى الحكميات ١٨	
رسالة الطيف ، لبهاء الدين الاربلى ٢٠	
الرسالة العضدية ، للايجى .. ١٣	
رسالة العقائد ، للغزالى .. ٩	
رسالة فى أفعال الله تعالى ، لعلى أفندى محضر باشى .. ٣٧	
رسالة فى أوقاف القرآن ٨	
رسالة فى بيان كفر الطائفة الرافضة ، لعبد الله الموصلی .. ٣٧، ٣٢	

رقم الصفحة

اسم الكتاب

٣٧ ..	رسالة في بيان مذهب الطائفة اليزيدية لحسين الموصلی
٨	رسالة في جمع الأوجه السبعة
٢٢	رسالة في الحجر الأعظم ، لمحمد بن عمر المحمدي
٢٧	رسالة في الحصاة التي تتولد في الكلى للرازي
١١ .. .	رسالة في الرد على النصاري ، لسليمان بك الجليلي
٣٧	رسالة في الصيد بالبارودة ، لعلی أفندي محضرباشی
١١	رسالة في فضل عاشوراء ، لعلی الأمهوري
١١ ..	رسالة في فضل ليلة النصف من شعبان ، لعلی الأمهوري
٣٧	رسالة في القدر ، لعلی أفندي محضرباشی
١٤	رسالة في قواعد الاسطرلات ، لحيدر بن عبد الرحمن الحسيني
٢٢	رسالة في الكيمياء
٢٣	رسالة في النبض
٣٧	رسالة فيما ورد في الثلج والجمد والبرد، لمحمد بن قاسم العبدلي
٢١	الرسالة القياسية
١٢	الرسالة المحمدية في الرموز الخفية ، لمحمد الكلازي
١٢ ..	رسالة الملا سعيد الجوادی الى مطران اليعاقبة بالموصل
٣٨	رسالة ناشرة الفرح وطاوية الترح ، لأحمد المسلم الموصلی
٢٤	رسالتان في العلة المراقية ، لمصطفى أفندي فيضي
١٤	الرشيدية ، لعبد الرشيد الجونغوري
١٤ ..	الروض العاطر في تلخيص زيغ ابن الشاطر ، لابن زريق
	الروضة المزهرة في شرح نظمنا المسمى بالميسرة، لعلی بن الحاج
١٤	يونس
١٦	ريحانة الألبا للخفاجي

(ز)

١٩	زهرة البستان في تجربة الحلان لفتح الله الموصلی
------------	--

(س)

٢٢ ..	سر الأسرار فى معرفة الجواهر والأحجار ، لابن الشماخ
١٢	سلم المسيح ، للقس يوحنا الموصلى
١٥	سياحة الحورى الياس الموصلى

(ش)

١٥	شجرات أنساب للأنبياء والملوك
	الشجرة النعمانية = تقويم الدول والبلدان والأمم
٣٦	شرح اختلاجات الأعضاء
٣٢	شرح أرجوزة فى التجويد
٢٥	شرح الأسباب فى الطب النافع للأصحاب ، لنفيس بن عوض
٢١	شرح ايساغوجى ، لحسام الدين حسن كاتى
٣٧ ..	شرح البردة للسيد عبد الله بن السيد فخر الدين الموصلى
٢٣	شرح خليل بن محمد الآقويرالى للرسالة الولدية لساجقى زادة
١٣	شرح الرسالة العضدية لعصام الدين
٢١	شرح الرسالة القياسية لمحمد بن مصطفى
١٧	شرح سرورى لكلىستان سعدى
٣٢	شرح السيد الشريف للجفمينى - فى علم الهيئة
١٠	شرح صغرى الصغرى لمحمد بن يوسف السنوسى
١٣	شرح عروض الأندلس للقيصرى
١٣	شرح عصام لرسالة الاستعارات للسمرقندى
٣٣	شرح فى النحو
٣٣	شرح قصيدة بدو الأمالى
١٩	شرح القصيدة الحرباوية لتاج الدين البلخى

رقم الصفحة

اسم الكتاب

شرح القصيدة الدميائية = بلوغ القصد والمنى	
شرح ماسوى المنطق من هداية الحكمة	٢١
شرح محمد بن شريف لقسمى الطبيعى والالهى من هداية الحكمة	٢١
شرح المسعودى فى آداب البحث	٣٤
شرح المعلقات السبع للزوزنى	١٧
شرح مقصورة ابن دريد	١٧
شرح الموجز فى الطب لتفيس بن عوض	٢٣
شفاء السقيم فى الطب	٢٨ ، ٢٣

(ص)

صفات وتراكيب	٣٣
صفحات من تاريخ الموصل، ملحقة من مؤلف الأب دومنيكولنزا	
الايطالى	٣٩
صورة الكتاب الوارد من ملا باشى على الى السيد يحيى أفندى	١٦
صورة وقفية جامع نبى الله شيث	١٠

(ط)

الطارقية (اعراب ثلاثين سورة) لابن خالويه	٣١
الطب الجديد الكيمياوى لبراكلسوس	٢٢
الطب الروحانى والعالم الانسانى	٣٥
الطب المختار لمحمد جلبى	٢٨
طوالع البروج ، لداود بن ناصر الدين الزركشى الموصلى	٣٠ ..

(ع)

العذب الصافى فى تسهيل القوافى ، لياسين العمرى الحطيب	٣٦
عقود الفرائد فى شرح الامثلة والشواهد لابن الكولة الموصلى	٣٥

اسم الكتاب	رقم الصفحة
العقود المجوهرة والآلء المبتكرة (شرح البقرية)	٨
عقيلة أتراب القصائد للشاطبي	٨
العيسوى فى صناعة الطب ، لأبى سهل المسيحى	٢٣

(ع)

غاية الاتقان فى تدبير الانسان لصالح أفندى الجلبى	٢٣
--	------------

(ف)

الفائق فى اللفظ الرائق ، للقاضى عبد المحسن اللتنيسى	٣٦
الفتاوى الرملية لخير الدين الرملى	٩
الفرائد المنثورة فى الفتاوى الماثورة لمحمد أمين الخطيب العمرى	٣٨
الفرق بين الحياة المستمرة والحياة المستقرة لشهاب الدين	أحمد بن العماد الأقفهى
أحمد بن العماد الأقفهى	٣١
الفريدة السنية فى الحكم العربية لمحمد أمين الخطيب العمرى	١٨
الفريدة السنية فى كشف عقائد اليزيدية، لمحمد أفندى الحياط	١٢
فصل فى ذكر الطريقة النقشبندية	١١
فصل فى البثور	٢٧
فكرة الهموم والغموم والعطر المشموم فى العلامات والمسافات	والنجوم
والنجوم	٣١

(ق)

القانون لابن سينا	٢٧
قصائد وأشعار لشعراء جاهليين	١٧
قصائد لمحمد أمين وموسى الحدادى	١٨
قصائد لمحمد الغلامى مفتى الشافعية	١٩
قصة تودد الجارية ، لأحمد بن محمود الجلبى	٣٢

اسم الكتاب	رقم الصفحة
قصيدة الحرباوية للبطل	١٧
قصيدة فى ختم الجرح	٣٣
قصيدة فى القرنفل	٣٣
قصيدة فى معرفة الضمير	٣٠
قصيدة لعبد الرحمن أفندى الكلاك	٣٧
قصيدة لفتح الله القادرى الموصلى فى حصار نادر شاه للموصل	١٩
قصيدة (نسبت زورا لعدى بن مسافر)	٣٨
قصيدة هجوم فى حق حمام العليل ، للملاجرجيس	١٦
قلائد النحر ، لمحمد أمين العمرى الخطيب - وهى أرجوزة	٣٩ ..
القول التمام فى آداب دخول الحمام . لشهاب الدين الأقفهى	٣١
القول المكين فى تكبير سنة المكين	٨

(ك)

كتاب فى الجغرافيا ، لعله لساهى زاده	١٥
كتاب فى حفظ الصحة	٢٧
كتاب فى الروحاني	٣٠
كتاب فى النبات	٢١
كتاب فيه نخبة من الأحاديث الشريفة	٣٥
كتاب القدورى فى الفقه	٩
كتاب المائة = العيسوى	
كتاب ما يصادف الملاح على السواحل من بنادر وأنهار ١٠٠ الخ	٣٠
كتاب من لا يحضره طبيب ، للرازى	٢٧
كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار للعز بن عبد السلام .	٣
كشف الريب فى العمل بالجيب	٣٢
كشف الشبهات فى رد أهل الضلالات، لمحمد بن عبد الوهاب	١١

اسم الكتاب	رقم الصفحة
كشف الشبهات فى الاعتقاد ، لأحمد بن عبد الوهاب	٣٤
كشف غمرة اللبس فى كشف الزهرة للشمس ، للطالوى ..	٣١
كشف الضباب فى مسألة الاستتابة للسيوطى	١٤
الكشف والتبيين فى غرور الخلق أجمعين ، للغزالي	٣٤
كنز الدقائق للنسفى	٩
الكواكب الدرية فى الأصول الجفرية	٣٦
الكيمياء الملكية فى صناعة الطب الكيمياءى	٢٢

(ل)

لامية العجم ، للطفرائى	١٧
اللؤلؤة السنية بحل رموز الطلسمات الحفية لدرويش محمد ..	١٢

(م)

مالايسع الطبيب جهله ، ليوسف بن اسماعيل الحوى	٢٨
متن ايساغوجى فى المنطق ، لأثير الدين الأبهري	٣٧
مجرات بر الهند ومجرات بر العرب	٣١
مجربات أحمد جلبى فى الطب	٢٣
مجموع فى الأدوية المجربة ، لعبد الرزاق بن أبى الفرج بن	
أبى السرور	٣٣
مجموعة أشعار ، جمع الدكتور داود الجلبى	٢٠
مجموعة التواريخ فى مدح الوزراء من بنى عبد الجليل	١٩
مجموعة فى علم الكاف (الكيمياء القديمة)	٢٢
مجموعة قصائد منسوبة الى نعمان أفندى المعمرى وغيره ..	٢٠
مجموعة لأسماء علمية وعربية لنباتات البلاد العسرية ،	
واصطلاحات الجلد	٣٩

٢٦	الجلبي	مجموعة مشاهدات ومنقولات ومجربات طبية ، لمحمد سليم
٢٠	مجموعة من الأقوال والأشعار الحكمية لعبد الله جلبي	
١٥	محاضرات الأوائل ومسامرات الأواخر ، لعلي دده	
	محاكمة بين ما أورد بعض العلماء على قول خواجه زاده شارح	
٢٤	الطريقة المحمدية لأحمد المرعشي	
٢٦	مختصر تذكرة عز الدين أبي أسحاق إبراهيم بن طرخان	
٩	مختصر على المقدمة الرحبية ، لابن سبط المارديني	
٣٥	مختصر النزهة في الطب	
١٩	المخمسات	
١٠	مسائل كالأغاليط في الفرائض ، لملا حسين الشيفكي	
٢٦	المصابيح السننية في طب خير البرية، لأحمد سلامة القليوبي	
١٢	معاهد التنصيص للعباسي	
٢٨	معجم أمراض الجلد	
١٩	المعشرات	
	معينة الطلاب على اكتساب صنعة الاعراب ، أرجوزة للشيخ	
٣٨	عبد الله الفيض الموصلي	
٢٦	مفردات الطب المختار ، لمحمد جلبي (وانظر : الطب المختار)	
٢٨	مفردات في الطب	
١٤	مقاصد الغوالي بقلائد اللآلي ، لمحمد بن سليمان المغربي	
٢٨	مقالة في أسماء أعضاء الانسان ، لابن فارس	
٢٠	مقامة لابن حمويه، ألفها عند سفر الملك الكامل الى الاسكندرية	
٣٠	ملحمة دانيال	
١٨	المنح المكية في شرح الهمزية ، لابن حجر الهيتمي	
	المنظومة الدرية بمدح مسيد البرية ، ليوسف بن عبد الله	
٣٨	العمري الموصلي	

اسم الكتاب	رقم الصفحة
منظومة في أجناس الحمى وعلاجها	٢٨
منظومة المفرح القوامي في الطب، لقوام الدين محمد الحسيني	٢٨
منقولات من كتاب برء الساعة ، لأبي بكر الرازي	٣٦
منهل الأولياء ومورد الأصفياء في سادات الموصل الحدياء للعمري	١٧
ميزان الأدب المعروف بالحنفية	١٣

(ن)

نبذة في معرفة العروق وفصل في تزوير الأشياء	٣٣
النجديات للأبيوردي	٢٠
النجوم الشارقات في ذكر بعض الصنائع المحتاج إليها في	
علم الميقات ، لمحمد الحسني	٣٣
نزول الغيث للدمايني	٣٢
نصاب الصبيان ، لأبي نصر فراهي	٣٦
النفحات الأنسية في تبرئة عقائد الصوفية لمحمد سعيد	
النقشبندی	١١
نهاية القصد في صناعة القصد، لمحمد بن ابراهيم الأنصاري	٣٣، ٢٥، ٢٢

(هـ)

هدى الحكم الى خير الحكم ، لعبد الله بن أحمد الموصلی	٢٢
---	----------

(و)

وقائع فارس وايران ، لعثمان بن حبيب القارصی	١٥
--	----------

(ي)

يواقيت المواقيت ، للفخر الرازي	٣٠
--------------------------------	------------

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
أحمد (محمد عبد العال)	٣١٩
حسن (محمد عبد الغنى)	٣٤٣
الخلوجى (الدكتور عبد الستار)	٢٨٧
دبدوب (الدكتور فيصل)	٣
سعيدان (الدكتور أحمد سليم)	٤١
الكتانى (محمد ابراهيم)	١٩٥
الكيالى (سامى)	٢١١
الموسى (الدكتور نهاد)	٢٣٩،٢٢٥،١٩٥

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تسمية أزواج النبی صلی الله علیه وسلم	٢٢٥
حاشیتان خفیفتان عن مخطوطین ، لأبی عبیده	٣٣٩
دراسة حول أقوال المؤرخین عن الفتح الأیوبی للیمن	٢١٩
الدكتور داود الجلبی (حیاتة ومخطوطات خزائنة	٣
رسالتان فی الحساب العربی	٤١
صناعة الفهارس فی المخطوطات العربیة	٣٤٣
طبیعة دور المحفوظات	١٩٥
الكتاب العربی المخطوط	٢٨٧
مجاز القرآن لأبی عبیده (دراسة وتعقیب)	١٩٥
المخطوطات فی حلب	٢١١

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المخطوطات العربية في العالم :	
الدكتور داود الجلبى (حياته ومخطوطات خزائنه)	٣
التعريف بالمخطوطات :	
رسالتان في الحساب العربي	٤١
النقد والتعريف :	
مجاز القرآن لأبى عبيدة (دراسة وتعقيب)	١٩٥
طبيعة دور المحفوظات	١٩٥
المخطوطات في حلب	٢١١
تسمية أزواج النبى صلى الله عليه وسلم	٢٢٥
الكتاب العربى المخطوط	٢٨٧
دراسة حول أقوال المؤرخين عن الفتح الأيوبى لليمن	٣١٩
حاشيتان خفيفتان عن مخطوطين لأبى عبيدة	٣٣٩
صناعة الفهارس فى المخطوطات العربية	٣٤٣

مطابع
الشركة المصرية للطباعة والنشر
(فرع التوفيقية)

R E V U E
DE L'INSTITUT
DES MANUSCRITS ARABES

**Périodique Semestriel pour les manuscrits et les
archives arabes.**

Prix de l'abonnement : P.T. 100.

**Toutes les communications relatives à la rédaction
doivent être adressées au :**

**Directeur de l'Institut des Manuscrits
Ligue des Etats Arabes
Midan El Tahrir — Le Caire
R.A.U.**

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٠/٣٢٨

LIGUE DES ETATS ARABES



REVUE
DE L'INSTITUT
DES
MANUSCRITS ARABES

Vol. 13

SHCABAN 1387 A.H.
NOVEMBRE 1967 A.D.

Fasc. 2